

ســـوق عكاظ

في

التاريخ والادب

إعـــداد

لجنة الآثار التاريخية بنادي الطائف الأدبي



مقدمة

بقلم : رئيس النادي

عندما اجتمعنا لاول مرة يوم ١٣٩٥/٣/٣ هـ لتأسيس النادي الادبي بالطائف تلنا : ان صفحة فتحت في تاريخ مدينتنا الحبيبة ، وبعد الاذن الرسمي بقيام النادي وممارسة نشاطه الثقافي بدأنا نكتب تلك الصفحة التي ستتلوها باذن الله صفحات بينات .

واليوم ... وبعد مرور نصف عام تقريبا من حياة **نادينا** المديدة وبعد أن ظهرت أنشطته المختلفة .. سباقا بين الاندية .. يخامرنا نوع من النشوة والاعتزاز في دفع هذا الكتاب المهم الى المكتبة العربية كأول **باكورة** لنشاط النادي في حقل التأليف والنشر .

ان كتاب « سوق عكاظ بين التاريخ والادب » الذي ننشره اليوم والذي أعدته لجنة التاريخ والآثار الادبية بالنادي هو أول كتاب جامع لاهم ما كتب عن سوق عكاظ حتى اليوم . والذي دفعنا الى تقديمه للطبع قبل أي كتاب آخر أن يكون **مساهمة متواضعة من الطائف المدينة والنادي لمشروع « سوق عكاظ »** الذي تزمع الرئاسة العامة لرعاية الشباب اقامته هذا الصيف في نفس الموقع الذي كان يعقد فيه السوق .. والذي سيكون ظاهرة أدبية وفكرية وتاريخية واعلامية تستلفت الانتباه .. والتقدير لما لاحياء هذا السوق من أثر محمود على الحاضر .. وفاء لتراثنا العربي المجيد .. الذي تتجسد فيه شخصيتنا بكل أصالتها وعطائها .

اني **أعد** القارىء الكريم بأن نادي الطائف الادبي سيعمل بكل جد على نشر وتحقيق ما كتب عن « الطائف » قديما وحديثا كما سيرعى بالنشر والتشجيع أدباء وكتاب الطائف المعاصرين **وسيساعد المواهب الجديدة لكي تعطي وتنمو في مناخ من التقويم والعلمية .**

واذا كان الفضل يذكر لاصحابه فانني أود بهذه المناسبة الطيبة أن أثني على جهود **الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز** الرئيس العام لرعاية الشباب في سبيل اظهار

مشروعي « **سوق عكاظ** » و « **الاندية الادبية** » الى الوجود وامدادها بالتشجيع المادي الذي آمل أن يزداد .. ليزداد العطاء ، وتتحقق الآمـــال الخيرة في كل مـــا يخدم أدب وفكر وتاريخ أمتنـــا الخالدة ووطننا الغالي .

كما أشير بالشكر الى « لجنة التاريخ والآثار الادبية » بالنادي والى العضوين النشيطين الزميلين : مناحي ضاوي القثامي ومحمد منصور الشقحاء على اعداد هذا الكتاب للاصدار ..

متمنين من الله أن يمنحنا التوفيق على كل طريق ..

الطائف : ١٣٩٥/١٢/٢٠ هـ

١٩٧٥/١٢/٢٣ م

حمد الزيد

موقع سوق عكاظ(*)

تم لنا اكتشاف موضع سوق عكاظ بالدلائل الواضحة عزمنا على ايرادها برمتها في آخر هذا الكتاب مع ذكر الدلائل التي وقفنا عليهاونشر خريطة المكان ومابه من الاثار والد من البالية ، والاطلال الخالية ، وليس يعلم الا الله تعالى كم بذلت من جهد وعانيت من متاعب في البحث عن موضع سوق عكاظ ، والاستدلال على موضعه ، وقد كان يقول لي من سألت من أدباء الحجاز : انه السيل الصغير ، وكنت أسألهم : هل عندكم دليل واضح ؟ فيقولون : لا ، ولكننا نسمع ذلك من أفواه الناس ، وقد أكثر أهل المعاجم وكتب التاريخ من ذكره على اختلاف رواياتهم ، فمنهم من قال : انه على مرحلتين من مكة ، وعلى مرحلة من الطائف ، ومنهم من قال : انه بين نخلة والطائف ، فلما وجد المتأخرون هذه الروايات قالوا : انه السيل الصغير أو السيل الكبير أو قريب منه ، ولكن هذه الاقاويل لا يقنع بها من أراد الوقوف على الحقيقة ، ومما يدل على أن هذا الكلام الذي يلقيه المتأخرون على عواهنه غير صحيح ولا يمكن أن يكون سوق عكاظ في أحد هذين الموضعين ، أنه ليس في كلام القدامى ما يدل على أنه يوجد في أحد هذين الموضعين متسع يكفي لنزول العرب لشهود هذه السوق .

فما زلت أتتبع كتب الادب والمعاجم التي أظن أني أجده فيها فاذا وجدت عبارة قريبة من الصواب عرفت موضعها من الكتا ب، وصنتها في حافظتي حتى اذا اكتملت لدي الدلائل الواضحة ولله الحمد والمنة عزمت على تطبيقها على الطبيعة وتحديد موضع سوق عكاظ .

ومن كل ذلك ثبت عندي أن موضعه يبعد عن مطار الحوية مسافة عشرة كيلومترات تقريبا من الجهة الشرقية منه ، وعن الطائف مقدار أربعين كيلو وذلك عند المكان الذي يلتقي فيه الواديان : وادي شرب ، ووادي الاخيضر شرقيه ماء يقال له المبعوث عند الحرة السوداء ، وجنوبيه أكمة بيضاء يقال لها العبلاء من العهد الجاهلي الى هذا العهد ، وشماليه هو الفاصل بين **وادي شرب** ووادي قران المعروفين بهذين الاسمين الى هذا العهد والعجب من **اندراس** هذه السوق وهي من

---

* **للمؤرخ المرحوم : محمد بن بليهد**

أعظم أسواق العرب في الجاهلية وفي أول الاسلام وكان الناس ينتابونه من كل ناحية فلما كانت سنة ١٢٩ من الهجرة وظهر الخوارج الحرورية مع المختار بن عوف بمكة نهبت هذه السوق فتقلص ظله شهرا بعد شهر وعاما بعد عام حتى اندرس اسمه وعمى عن الابصار رسمه وكثر التضارب والاختلاف في تحديده وقد أجمع الكثيرون من الناس على أنه السيل الصغير أو السيل الكبير أو قريب ذلك . وهذان الموضعان كما قلنا لا يتسع أحدهما لمن كان يحضره من العرب لانه لم يكن يبقى من العرب أحد في مشارق أرضهم ومغاربها الا حضر هذه السوق .

فأما التحديد الصحيح الذي هو صادر عن معرفة ويقين فهو الذي ذكرته في أول هذه العبارة فمن أراد أن يقف برجله ويرى الآثار الدارسة والاطلال البالية فليذهب الى هناك كما ذهبت اليها ورأيتها بعيني ، ووقفت على حقيقتها ، فأنا لم أذكر تحديد هذه السوق الا مستندا الى خمسة أسانيد صحيحة .

أولها : ما ذكره أحمد الرداعي اليماني في أرجوزة له رسم فيها طريق مكة من صنعاء الى مكة وهو قاصد الحج ولست أذكر من هذه الارجوزة الا ما دعت الحاجة اليه ، وقد ذكرها الهمداني في آخر كتابه « صفة جزيرة العرب » .

ثانيها : ما ذكره عرام بن الاصبغ السلمي في كتابه المسمى « جبال تهامة والحجاز ومحالها » .

ثالثها : ما ذكره ياقوت عن الاصمعي في معجم البلدان على ذكر عكاظ .

رابعها : ما ذكره سعيد الافغاني في كتابه المسمى بأسواق العرب حين تعرض لذكر عكاظ وذكر أيام الفجار . وهي الحرب التي وقعت بين قريش ومن ساعدها من بطون كنانة وبين قيس عيلان وبطونها وذكر مواضع المعارك وكلها اما في عكاظ نفسه واما في الامكنة المحيطة به .

خامسها : ما ذكره الكميت بن زيد الاسدي وهو بيت واحد في قصيدة من قصائده وسنعود بالتفصيل والايضاح الى الاسانيد الخمسة التي أشرنا اليها :

أولا : ما ذكره الرداعي في أرجوزته وهو يخاطب راحلته :

قلت لها في مطلخم طاخ	لدي مناخ أيما مناخ
يا ناق هم الشهر بانسلاخ	فازمعي بالجد لا التراخي
كأم أفراخ الى أفراخ	عن ذي طوى ذي الحمض والسباخ
وأوقح ذي المنهل الوضاح	قاربة للورد من كلاخ

أنظر أيها القارىء تجد أن الشاعر خرج من أوقح ووصل كلاخ ، وهما موضعان معروفان بهذين الاسمين الى هذا العهد وهما يقعان في الجهة الجنوبية من عكاظ ثم اندفع وهو يخاطب راحلته فقال :

قلت لها سيري بلا تواني	سيري بمفضال على الاخوان
ليس بفحاش ولا منان	وكل صلت ثابت الجنان
يا هند لو أبصرت عن عياني	قلائص يوضعن في جلدان

وجلدان : موضع لم يتغير اسمه الى هذا العهد بين عكاظ وكلاخ وهناك هضبة منفرة عن الجبال تسميها العرب الى هذا العهد « حلاة جلدان » .

أنظر أيها القارىء تجد الشاعر الآن عند الحلاة ثم اندفع وهو يتغنى وقد قرب من عكاظ :

فقلت لما ناب لي احتفاظي	والقلب فيه شبه الشواظ
سل الهوى عن قلبك المغتاظ	والعيس تطوي الارض بالمظاظ
مشفقة من زاجر كظاظ	مسهلة في الارض من عكاظ

الآن الشاعر في عكاظ ، أنظر أيها القارىء كلامه حين خرج منه فقال :

فانجردت بالرفق العصائب	عيدية مفعمة المناكب
بكل خف مستدير الجانب	وحيث خط الميل كف الكاتب
تاركة قران للمناقب	وشربا في جنح ليل واقب

أنظر أيها القارىء كلام الرداعي لما خرج من عكاظ قال « تاركة شرب » وهو الوادي الذي يفيض على عكاظ ويشقه من الجهة الشمالية منه ، وقال « تاركة قران لمناقب » وقران : هو واد يأتي سيله بين السيل الصغير وبين عكاظ يصب سيله فيوادي العقيق ، وهو باق بهذا الاسم الى هذا العهد لا يزال يسمى « قران » والمناقب : معلوم أنها الريعان التي تقع بين السيل الصغير والسيل الكبير .

ثانيا : ما ذكره عرام بن الاصبغ السلمي قال في كتابه « جبال تهامة والحجاز ومحالها قال لما مر على ذكر عكاظ : هو في أرض مستوية ليس بها جبال واذا كنت في عكاظ طلعت عليك الشمس على حرة سوداء وبها عبيلات بيض كان العرب يطيفون بها في جاهليتهم وينحرون عندها ، انتهى : وقد رأيت بعيني الارض

المستوية التي ليس بها جبال ، ورأيت العبيلات البيض ، ورأيت الحرة السوداء ، وأنا في صحبة صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن عبد العزيز لما آب من قنصه وما اشتبه علينا شيء من ذلك .

ثالثا : الذي رواه ياقوت عن الاصمعي في معجم البلدان — لما ذكر ياقوت عكاظ وأكثر من الروايات عنه قال : وقال الاصمعي : عكاظ واد به نخل بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبه كانت أيام الفجار وكان هناك صخور يطوفون بها ويحجون اليها .

أما تحديد الاصمعي فهو صحيح ، وقد سألت عن ذلك أعراب تلك الناحية عن المسافة ورواية الاصمعي تقارب رواية عرام حيث ذكر الصخور التي يطوفون عندها ، ويذبحون لها وتقارنت مع رواية سعيد الافغاني حين قال : وره كانت أيام الفجار وأما الاثيدا فقد اندرس اسمها .

رابعا : ما ذكره سعيد الافغاني في كتابه المسمى « أسواق العرب » فانه لما مر على ذكر عكاظ وذكر أيام الفجار ذكر منها اربعة أيام وقعت في نفس عكاظ والخامس منها في بطن نخلة وهو أولها وبعده يوم شمطا وهو في عكاظ وقد اندرس ذكرها وبعده يوم العبلاء وبعده يوم شرب وبعده يوم الحريرة واليك عبارة صاحب « أسواق العرب » على يوم العبلاء : عاد الاحياء المذكورون من هؤلاء وأولئك ، فاقتتلوا في قابل في اليوم الثالث من أيام عكاظ في العبلاء وهي الى جانب عكاظ فاقتتلوا على العتبة التي تقدمت وكان هذا اليوم أيضا لهوازن على قريش وكنانة فأصيبت قريش وقتل أحد صناديدها وهو العوام بن خويلد والد الزبير بن العوام قتله مرة بن معتب الثقفي . وقال في ذلك رجل من ثقيف يفتخر بقتله لما له من الشرف والخطر في قومه :

منا الذي ترك العوام منجدلا تنتابه الطير لحما بين أحجار

وفي هذا يقول شاعر هذه الحروب من هوازن ، وهو خداش بن زهير حين قال :

ألم يبلغكم أنا جدعنا لدى العبلاء خندف بالقياد
ضربناهم ببطن عكاظ حتى تولوا طالعين من النجاد

أنظر أيها القارىء تجد أن هذا الشاعر جعل العبلاء من عكاظ وهي باقية بهذا الاسم الى هذا العهد ، وهي التي ذكرنا انها حد عكاظ في الجهة الجنوبية منه .

ثم استمع الى كلام صاحب الكتاب على يوم شرب ، ثم التقوا على رأس الحول في اليوم الثالث من عكاظ أيضا بشرب . وشرب من عكاظ ، ولم يكن بين الفريقين يوم أعظم منه ، وهزمت قريش هوازن ، وهذا اليوم هو الذي قيد فيه رؤساء قريش أنفسهم وقالوا : لن نبرح حتى نقتل أو نظفر ، فسموا العنابسة بعد ذلك .

تأمل أيها القارىء كلام صاحب الكتاب حين قال « شر بمن عكاظ » وشرب باق بهذا الاسم الى هذا اليوم لم يتغير ، وقال أمية بن الاسكر الكناني في ذلك اليوم :

ألا سائل هوازن يوم لاقوا ... فوارس من كنانة معلمينا
لدى شرب وقد جاشوا وجشنا ... فأوعب بالنفير بنو أبينا

وقال أيضا :

قومي اللذو بعكاظ طيروا شررا ... من روس قومك ضربا بالمصاقيل

أنظر هذا الشاعر جعل المعركة في نفس عكاظ ، وصحيح أنها في نفس عكاظ .

وقال على يوم الحريرة ، وهو آخر أيامهم : ثم التقوا على رأس الحول بالحريرة وهي حرة الى جانب عكاظ ثم انهزمت قريش وقالت شعراء هوازن قصائد كثيرة منها :

الطاعنين نحور الخيل مقبلة ... من كل سمراء لم تغلب ومغلوب
وقد بلوتم فأبلاكم بلاؤهم ... يوم الحريرة ضربا غير مكذوب

وهذه الحريرة التي ذكر أبو الاصبغ السلمي أنها تطلع عليها الشمس اذا كنت في عكاظ .

خامسا : بيت الكميت بن زيد الاسدي في احدى قصائده حين قال :

أهل الحنيفة فاسأل عن مكارمهم ... بالمسجدين وملقى الرحل من شرب

قال مصنف هذه الاحرف : قرأت هذه القصيدة التي منها هذا البيت على الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى ونحن ببلد أشيقر وهو رجل علامة في جميع الفنون وبالاخص في تاريخ العرب وأنسابهم وديارهم وتنقلاتهم فلما مررت على هذا البيت أشكل علي منه : ملقى الرحل من شرب فسألته عن ملقى الرحل من شرب ، فقال لي : ان هذا الشاعر ذكر بني هاشم ومكارمهم فقال : فاسأل عن مكارمهم أهل مكة وأهل المدينة وملقى الرحل من شرب : هو سوق عكاظ ، قلت له : شرب هو اسم عكاظ ؟ قال : شرب واد قريب من الطائف ينصب من الغرب الى جهة الشرق

وعنده واد يقال له الاخيضر ينصب في الغرب الى جهة الشرق . وهذان الواديان ينصبان في غرب عكاظ ويتجهان الى الجهة الشرقية منه ، قلت له : من أين أخذت هذا التحديد الواضح ؟ قال : أخذته من كتاب في مكتبة بالبصرة هو أحسن من معجم البلدان في ذكر نجد وجبالها ومياهها . فقلت له : هذا الكتاب طبع او خط ، قال : انه خط ، انتهى

وقد أوردنا على تحديد عكاظ الدلائل الواضحة التي لا تلتبس على أحد والذي أضل قوما من أهل الادب فقال ان عكاظ قريب من مكة ، واستدل بقول خداش بن زهير حينما قال :

يا شدة قد شددنا غير كاذبة	على سخينة لولا الليل والحرم
ولو سلالا وعظم الخيل لاحقة	كما تخب الى أعطانها النعم

وهي قصيدة طويلة هي حجة من استدل بهذا البيت على ان عكاظ قريب مكة وهو لا يعلم موضع هذه المعركة التي ذكر هذا البيت من أجلها ، وأنا اعلمها وأعلم السبب الذي جرها وأعلم موضع المعركة كان في بطن نخلة بين الزيمة وبهيتة .

فأما السبب الذي من أجله نشبت الحرب وهو أول أيام الفجار فانه لما اجتمعت العرب في عكاظ ، وكان عروة الرحال سيد هوازن قد أجار لطيمة للنعمان بن المنذر كان يبعثها الى عكاظ في كل عام تباع فيه ، واللطيمة : ابل تحمل الطيب والبز وطرائف من طرائف الحيرة فلما انتصف في طريقه تبعه البراض الكناني ، فقتله قريب النقرة وأخذ اللطيمة ثم بعث الى حرب بن أمية وهو سيد قريش في ذلك الوقت رجلا يخبره أنه قتل عروة الرحال سيد هوازن ، فقال للرسول : ستجده في عكاظ وهوازن محيطة به فأخبره سرا ، ولا تعلم بك هوازن ولا غيرها ، ففعل الرجل ، وأخبره فاستشار حرب رؤساء قريش وبني كنانة واتفق رأيهم على ان ينصرفوا الى مكة ولا يحضروا عكاظا في هذا العام ، ويعتذر للقيسية بعذر عن خروجهم ، ففعلوا ، فلما مضى يوم وليلة على القيسية علموا بمقتل عروة الرحال وكان سيد هوازن وقيس عيلان عامر بن مالك الذي يقال له ملاعب الاسنة وهو عم عامر بن الطفيل ، فنهض بقيس عيلان ولحقوا قريشا وكنانة في بطن نخلة فدارت المعركة بينهم ، ثم انهزمت قريش ومن معها ، وقال خداش بن زهير هذا البيت :

يا شدة قد شددنا غير كاذبة	على سخينة لولا الليل والحرم

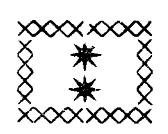
وظن من سمعه ان المعركة في عكاظ وقد أفرد لهذه المعركة يوم من أيام العرب

يسمى يوم نخلة ، وهو من أيام الفجار ، وسميت أيام الفجار لانها وقعت في الاشهر الحرم والذي أوقعهم في هذا الظن أن باقي أيام الفجار سوى هذا اليوم كانت تنشأ في سوق عكاظ وتدور المعركة في جهة منه ، فتسمى المعركة باسم تلك الجهة فيوم شمطا ويوم العبلاء ويوم الحريرة فانها كلها بعكاظ وهي باقية بهذه الاسماء الى هذا العهد ، وجميع ما ذكرناه عن تحديد عكاظ حاضر بأيدينا ، انتهى .

قد اطلعت على مصادر كتاب « اسواق العرب » والاسانيد التي اعتمد عليها فوجدتها من أعظم الكتب وأثبتها وأدناها لغرض المصنف : منها الاكاليل والامالي والازمنة والامكنة وأساس البلاغة والاغاني وتاج العروس وتاريخ الطبري وسيرة ابن هشام والعقد الفريد وصبح الاعشى وصحيح مسلم وعيون الاخبار وطبقات ابن سعد وتاريخ الادب العربي وتاريخ التمدن الاسلامي ورياض الصالحين وخزانة الادب وصحيح النسائي وفتح الباري لابن حجر والكامل لابن الاثير ولسان العرب ومجمع الامثال للميداني ومسالك الابصار في ممالك الامصار ومعجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكري والنهاية لابن الاثير ونهاية الارب للنويري .

وليعلم قارىء هذه الاحرف أنه لما ثبت عند صاحب السمو الملكي فيصل ابن عبد العزيز آل سعود صحة ما ذكرته عن عكاظ وتحديد موقعه ورأى بعينه الحرة التي تطلع عليها الشمس والعبيلات البيض والارض المستوية التي تسع العرب عند اجتماعهم ووادي شرب ووادي قران والعبلاء وحلات جلدان وثبت لديه هذا التحديد الواضح بحث مع الكاتب الاديب البحاثة عن بلاد العرب وما بها من الآثار عبد الوهاب عزام بك وزير مصر المفوض في جدة سابقا ، وقال له : اني أحب الوقوف على هذه السوق وآثارها البالية المندرسة وكان الوزير متأهبا للسفر الى الرياض فاتعدا ان يذهبا جميعا الى سوق عكاظ ، اذا رجع الوزير من الرياض ، فصادف عند رجوعه أن كان صاحب السمو الملكي الامير فيصل في جدة فأمر الامير خادمه عبد المحسن العنقري ان ينصب الخيام هناك ويرسل الخدم الى ذلك الموضع لتحضير ما تدعو اليه الحاجة ، وقد فعلوا ونصبوا الخيام الى جانب العبيلات البيض في نفس عكاظ ، وأمرني صاحب السمو الملكي الامير فيصل أن أقابل الوزير في المطار وخادمه عبد المحسن العنقري ونذهب مع الوزير الى سوق عكاظ فأخذت معي جميع الدلائل التي أشرت اليها ، فلما وصلنا الى عكاظ قرأت على الوزير ما عندي من الدلائل ، وكلما مررت على ذكر موضع كالحريرة وشرب والعبلاء والعبيلات البيض وجلدان وقران يقول : أين هي ؟ فأريه اياها رؤية عين ، الحريرة أخذ عكسها ونحن على ظهرها ، والعبيلات البيض التي ذكرها أبو الاصبغ السلمي صورها ونحن الى جنبها

والعبلاء كذلك وتجولنا فيه بالسيارة ، ورأى الآثار القديمة والارض المتسعة التي تسع العرب جميعها ، وقد اعترف انه عكاظ واقتنع وأبدى موافقته التامة ، وأخذ مني نسخة تحتوي على جميع الدلائل التي أشرت اليها ، والفضل في ذلك يرجع الى حضرة السمو الملكي الامير فيصل لانه هو الذي أمر بهذا الاكتشاف وتحقيقه والوقوف عليه بعد تصوره ورأيته في أوبته من قنصه أدام الله بقاءه .



سوق عكاظ (*)

هذه كلمة حاولت ان أوضح بها موقع سوق « عكاظ » موردا أقوال متقدمي المؤرخين ، وواصفا — على ضؤ مشاهدتي — المكان الذي لا يخامرني شك في أنه هو موقع ذلك السوق ، ومحاولا تطبيق تلك الاقوال على أوصاف ذلك المكان . ومشيرالى آراء متأخري الكتاب والادباء ، اشارة قصدت بها اطلاع القارىء على مختلف الآراء في هذا الموضوع ، وان كانت تلك الاراء — في نظري — قد جانفت الصواب ، وخالفت الحق ، ولم أكلف نفسي عناء مناقشتها ، او بيان ما فيها من جنف ، او خطأ ، يظهران بمقارنتها بأقوال المتقدمين .

أ — أقوال متقدمي المؤرخين في تحديد موقع عكاظ

١ — قال محمد بن اسحاق (... — ١٥١ هـ) كانت مجنة بمر الظهران الى جبل يقال له الاصفر ، وكانت عكاظ فيما بين نخلة والطائف ، الى بلد يقال له الفتق ، وكان ذو المجاز ناحية عرفة الى جانبها .

٢ — وقال محمد بن عمر الواقدي (١٣٠ — ٢٠٧ هـ) عكاظ فيما بين نخلة والطائف ، وذو المجاز خلف عرفة ، ومجنة بمر الظهران .

٣ — وقال أبو عبيدة (١١٠ — ٢٠٩ هـ) عكاظ فيما بين نخلة والطائف الى موضع يقال له الفتق ، وبه اموال ونخل لثقيف ، بينه وبين الطائف عشرة أميال .

أقول : للطائف ، من مكة أربعة طرق : طريق يمر بعرفات ، ثم بعقبة جبل كراء ثم بأعلى وادي قرن — وادي المحرم — ثم بالطائف ، ومنه سلك الرسول صلى الله عليه وسلم في عودته من دعوة ثقيف الى الاسلام ، وهو أخصر الطرق ، وأوعرها . والثاني : يمر بمنهل حنين — عين الشرائع — ثم يتجه صوب الشرق ، فيصعد عقبة دجنى (وتصحف في الكتب القديمة بدحنى وتحرف بتجنى) فوادي قرن ، فالطائف وكانت القوافل تأتي معه قال أحد شعراء مكة في القرن الحادي عشر الهجري

---

* للاستاذ حمد الجاسر ملحق الجزء الثالث من مجلة « العرب » رمضان ١٣٨٨هـ

(قاضي القضاة جمال الدين محمد بن علي الشيبي المكي) :

راى صاحبي أثمار «وج»فقال لي: ترى هذه الاثمار تسقط او تجنى؟
فقلت له : كلها ـ هنيئا ـ فانما أطايبها «تجنى» وتأتيك من «تجنى»

والطريق الثالث : يمر بالشرائع ، فوادي يدعان (جدعان في هذا العهد) فوادي سبوحة ، فقرية الزيمة فوادي نخلة اليمانية فقرن المنازل (السيل الكبير) فالمناقب (الريعان جمع ريع) ثم ينحرف ذات اليمين الى الطائف . وهذا هو الطريق الرئيسي في هذا العهد للسيارات وللقوافل .

والرابع : لا ينحرف بعد المناقب ، بل يتجه شرقا حتى يجوز الجبال ويدع جبال الطائف أيمنه ، فيمر بقرب عكاظ ، ثم يأتي الى الطائف من أسفله والمتقدمون الذين قالوا ان سوق عكاظ بين نخلة والطائف قصدوا هذا الطريق ومنه سارت قريش حينما انهزمت في وقعات الفجار ، مارة بنخلة ، وقد سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الطائف ، مر بنخلة اليمانية فقرن المنازل فبطن المليح ، فبحرة الرغاء من وادي ليه فوادي نخب فالقرن الاسود ، فالطائف . وقد حدد الهمداني موقع الفتق فقال :

اذا استقبلت مكة وانت في الفتق ، وقع الطائف بينك وبين مغرب الشمس . وقال : بين الفتق وبين المناقب اثنى عشر ميلا ، وبين المناقب وبين قرن المنازل ستة أميال . وذكر ان الفتق قرية كانت لبني هلال فخربت وذكر الاصبهاني في الاغاني (ج ١ ص ١٤٩ طبعة الساسي) ان الفتق اسفل وادي العرج . ومعروف ان العرج شمال الطائف بميل قليل الى الشرق .

٤ ـ و قال الاصمعي (١٢٢ ـ ٢١٦ هـ) : عكاظ نخل في واد ، بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبه كانت تقوم سوق العرب ، بموضع يقال له الاثيداء ، وبه كانت أيام الفجار ، وكانت هناك صخور يطوفون بها ويحجون اليها .

٥ ـ وقال ابن هشام (. . . ـ ٢١٨ تقريبا) وكانت عكاظ في وسط أرض قيس عيلان .

٦ ـ وقال الازرقي (... ـ ٢٤٤ تقريبا) وعكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق صنعاء ، في عمل الطائف ، على بريد منها ، وهي سوق لقيس عيلان وثقيف وأرضها لنصر .

٧ — وقال محمد بن حبيب البغدادي (... — ٢٤٥) جهار (صنم) لهوازن بعكاظ . وقال : وعكاظ بأعلى نجد ، قريبا من عرفات . كذا ورد في كتاب « المحبر » ص ٢٦٧ المطبوع في الهند ولعله سقط منه ، او من الاصل الذي نقل عنه المؤلف — ان كان له أصل — كلمة (وذو المجاز) بعد كلمة نجد ، والا فأين أعلى نجد من عرفات ؟ ومن الغريب ان الذين جاؤا بعد ابن حبيب ونقلوا كلامه ، نقلوه بهذه الصورة ، كالمرزوقي في كتاب « الازمنة والامكنة » وأبي عبيد البكري في كتاب معجم ما استعجم ، والحميري في كتاب الروض المعطار .

٨ — وقال عرام بن الاصبغ السلمي : والقفا جبل لبني هلال . حذاء عن .. وحذاؤه جبل آخر يقال له بس ، وفي أصله ماء يقال له بقعاء ، لبني هلال بئر كثيرة الماء ، ليس عليها زرع وحذاؤها أخرى يقال لها الخدود ، وعكاظ منها على غلوة . وعكاظ صحراء مستوية ، ليس فيها جبل ولا علم ، الا ما كان من الانصاب التي كانت في الجاهلية ، وبها الدماء من دماء الابل كالارجام العظام ، وحذاؤها عين يقال لها خليص للعمريين ، وخليص هذا رجل وهو ببلاد تسمى ركبة .

٩ — وقال ابن واضح اليعقوبي (... — ٢٩٢) سوق عكاظ بأعلى نجد تقوم في ذي القعدة ، وينزلها قريش وسائر العرب ، الا ان اكثرها مضر .

١٠ — وقال الهمداني (... — ٣٣٤ تقريبا) بعد ان أورد قول عيسى ابن أحمد الرداعي في أرجوزته التي وصف بها طريق الحج من صنعاء الى مكة — وقد أوردت من أبياتها موضع الشاهد :

يا ناق هم الشهر بانسلاخ	فأزمعي بالجد لا التراخي
عن ذى «طوى» ذى الحمض والسباخ	قاربة للورد من « كلاخ »
مشفقة من زاجر كظاظ	مسهلة للخبت من « عكاظ »
تاركة « قران » « للمناقب »	و« شربا » في جنح ليل واقب

قال الهمداني : عكاظ بمعكد هوزان ، وهو سوق العرب القديمة وهو لبني هلال اليوم ... قران وشرب مكانان من أرض عكاظ . وهذه المواضع من الجرداء ، ويضرب على مشرق هذه المواضع جبل الحضن من المحجة على يوم وكسر . ثم ضرب الناس من قران وشرب ذات اليسار فعلوا رأس السراة وهو المناقب ، وانحدروا فيها ، وسقطت بهم على قرن الحرض ، وهو الذي وقته النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجد ، وقال : وحضن عكاظ جبل ، وفيه يقول الاعشى : كخلقاء من هضاب الحضن .

وقال الراجز :

لما بدأ شعف بأعلى السي وحضن مثل قرا الزنجي

وقال الهمداني أيضا : سراة الطائف غورها مكة ونجدها ديار هوازن من عكاظ والفتق .

١١ — وقال أبو عبيد البكري (... — ٤٨٧) عكاظ بضم أوله وفتح ثانيه وبالظاء المعجمة ، صحراء مستوية ، لا علم فيها ولا جبل ، الا ما كان من الانصاب التي كانت بها في الجاهلية ، وبها دماء الابل كالارحاء العظام ، وكانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا لمكة في الجاهلية ، وعكاظ على دعوة من ماءة يقال لها نقعاء : بئر لا تنكف واتخذت سوقا بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، وتركت عام خروج الحرورية مع المختار بن عوف سنة ١٢٩ الى هلم جرا .. ويتصل بعكاظ بلد تسمى ركبة ، وبها عين تسمى عين خليص للعمريين ، وخليص رجل نسبت اليه . وذكر أبو عبيدة انه كان بعكاظ اربعة أيام ، يوم شمطة ، ويوم العبلاء ، ويوم شرب ، ويوم الحريرة ، وهي كلها من عكاظ ، فشمطة من عكاظ وهو الموضع الذي نزلت به قريش وحلفاؤها من بني كنانة ، بعد يوم نخلة ، وهو أول يوم اقتتلوا به في أيام الفجار ، على ما تواعدت عليه هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم ، فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ، ولم يقتل من قريش احد يذكر ، واعتذرت بكر بن عبد مناة بن كنانة الى جبل يقال له دخم ، فلم يقتل منهم أحد ا وقال خداش بن زهير :

فأبلغ — ان مررت به — هشاما وعبد الله ابلغ ، والوليدا
بأنا يوم شمطة قد أقمنا عمود الدين ان له عمودا

ثم التقى الاحياء المذكورة على رأس الحول ، من يوم شمطة ، بالعبلاء الى جنب عكاظ فكان لهوازن أيضا على قريش وكنانة .

وقال خداش بن زهير :

ألم يبلغكم أنا جدعنا لدى العبلاء خندف بالقياد
ضربناهم ببطن عكاظ حتى تولوا طالعين من النجاد

فهو يوم العبلاء ثم التقوا على رأس الحول ، وهو اليوم الرابع من يوم نخلة بشرب ، وشرب من عكاظ ، ولم يكن بينهم يوم أعظم منه ، فحافظت قريش وكنانة ، وقد كان تقدم لهوازن عليهم يومان ، وقيد أبو سفيان وحرب ابنا أمية وأبو سفيان بن

حرب أنفسهم ، وقالوا : لا يبرح رجل منا مكانه حتى نموت او نظهر ، فسموا العنابسة وجعل بلعاء بن قيس يرتجز :

ان عكاظا ماؤنا فخلوه وذو المجاز بعد لن تحلوه

فانهزمت هوازن وقيس كلها الا بني نصر ، فانها صبرت مع ثقيف وذلك ان عكاظا بلدهم ، ولهم فيه نخل وأموال فلم يغنوا شيئا ثم انهزموا وقتلت هوازن يومئذ قتلا ذريعا . قال أمية بن الأشكر الكناني :

ألا سائل هوازن يوم لاقوا فوارس من كنانة معلمينا
لدى « شرب » وقد جاشوا وجشنا فأوعب في النفير بنو أبينا

ثم التقوا على رأس الحول بالحريرة ، وهي حرة الى جنب عكاظ مما يلي مهب جنوبها فكان لهوازن على قريش وكنانة وهو يوم الحرة .

١٢ ــ وقال الشريف الادريسي (... ــ ٥٦٥) : وسوق عكاظ قرية كالمدينة جامعة لها مزارع ونخيل ، ومياه كثيرة . ولها سوق يوما في الجمعة (كذا) وذلك يوم الأحد ، يقصد اليها في ذلك اليوم بأنواع التجارات أهل تلك الناحية فاذا أمسى المساء انصرف كل واحد الى موضعه ومكانه . ومن سوق عكاظ الى مدينة نجران خمس مراحل .

١٣ ــ وقال ياقوت الحموي (... ــ ٦٢٦) : العبلاء اسم علم لصخرة بيضاء الى جنب عكاظ . وقال كلاخ ــ بالخاء المعجمة ــ موضع قرب عكاظ .

١٤ ــ وقال الحميري ــ مؤلف الروض المعطار ــ عكاظ صحراء لا علم فيها ولا جبل ، الا ما كان فيها من الأنصاب التي كانت في الجاهلية ، وهي بأعلى نجد ، وقريب من عرفات (كذا) وقيل هي وراء قرن المنازل بمرحلة في طريق صنعاء ، وهي من عمل الطائف وقيل هي على ثلاث مراحل من تبالة . وسوق عكاظ قرية كالمدينة جامعة ، لها مزارع ونخيل ، ومياه كثيرة ولها سوق في يوم الجمعة ، يقصده الناس في ذلك اليوم بأنواع التجارات فاذا أمسى المساء انصرف كل واحد الى موضعه .

١٥ ــ وقال الفيومي (... ــ ٧٧٠) عكاظ ــ وزان غراب ــ سوق من أعظم أسواق الجاهلية ، وراء قرن المنازل بمرحلة ، من عمل الطائف على طريق اليمن ، وقال أبو عبيد : هو صحراء مستوية لا جبل فيها ولا علم ، وهي بين نجد والطائف .

١٦ ــ وقال ابن خلدون (٧٣٢ ــ ٨٠٨) ومن أعمال الطائف سوق عكاظ

والعرج وعكاظ حجز بين اليمن والحجاز ...

هذه جملة من أقوال المتقدمين ، الذين تعرضوا لتحديد « عكاظ » وهي على اختلاف عباراتها متقاربة في المعنى ، بل متطابقة من حديث الجملة وقد لا يوجد للمتقدمين من المؤرخين من الأقوال ، في تحديد سوق « عكاظ » ما يخالفها .

ب ــ خلاصة الأقوال المتقدمة

تتلخص تلك الأقوال بأن موقع سوق عكاظ :

١ ــ في أعلى نجد ، فليس في تهامة ولا في الحجاز ولا في اليمن ولذلك عده ابن خرداذبه في كتاب المسالك وابن رسته في الأعلاق النفسية والبكري في معجم ما استعجم من مخاليف مكة النجدية .

٢ ــ وأنه في ديار قيس عيلان من مضر ، ثم في بلاد بني نصر بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن قيس عيلان ، في أول الاسلام ثم كان في القرن الثالث الهجري وأول الرابع من منازل بني هلال ــ ومنازل بني نصر بن معاوية في ذلك العهد هي الاودية المنحدرة من سلسلة سراة الطائف ، شرقا وشمالا الى نجد وما يقرب منها من مواضع لا تزال معروفة بأسمائها القديمة مثل : ركبة وبسل ولية ــ وفيه هدم رسول الله (ص) حصن مالك بن عوف رئيس تلك القبيلة ــ وجلدان وبس ، وقران ، والعقيق . وقد تبلغ بلادهم الى حدود النخلتين ، ويجاورهم غربا قبيلة هذيل ، وجنوبا ثقيف ــ حلفاؤهم وخلطاؤهم في الديار ــ ومن الشمال ــ نحو الشرق ــ بنو هلال بن عامر الذين حلوا بلادهم حقبة من الزمن وتحالهم قبيلة عدوان في البلاد المتصلة بديار ثقيف . ولا تزال بقية بني نصر هؤلاء في تلك المواضع .

٣ ــ وأنه يبعد عن الطائف مسافة اختلف المتقدمون في تقديرها بين عشرة أميال او بريد (= ١٢ ميلا) ، أو مسيرة يوم ، ولكن هذا الاختلاف ليس جوهريا فاذا لاحظنا ان الطائف لا يطلق على المدينة وحدها ، بل يشمل ما يجاورها من الأمكنة والقرى التابعة لها ظهر لنا ان تحديد المسافة في جميع تلك الأقوال له وجه من الصحة والاتفاق.

٤ ــ وأنه على طريق اليمن من مكة ، بين المناقب وبين كلاخ . لليمن طريقان : تهامي يأخذ على الساحل ، وآخر يأخذ على أطراف السراة مارا ببلاد عسير ، وهو الذي يقع عكاظ عليه ، وقد حدد الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص ١٨٧) مراحل هذا الطريق ، فقال ــ باختصار ــ ومن بيشة بعطان الى تبالة ١١ ميلا ، وهي من صنعاء على ٢٣ بريدا (أو ٢٧٦ ميلا) وعرضها ١٨ درجة وثلث وعشر . ومنها الى

القريحاء ٢٢ ميلا ، وعرضها ١٩ درجة . ومنها الى كرى ١٦ ميلا وعرض كرى ١٩ درجة وسدس ، وثلثا عشر . ومن كرى الى تربة ١٥ ميلا ، وعرضها ١٩ درجة وثلث وثمن درجة . ومنها الى الضفن ١٩ درجة وثلثان وثمن . ومنها الى الفتق ثلاثة وعشرون ميلا وهي من صنعاء على ثلاثين بريدا (أو ٣٦٠ ميلا) والفتق والطائف ومكة على خط الطول ، ومن المشرق الى المغرب وعرض الفتق ٢٠ درجة وعشر درجة . ومنها الى رأس المناقب اثنا عشر ميلا ، وهي منتهى الطريق الى وجه الشمال ، ثم رجعت نحو المغرب او الجنوب . وعرض المناقب عشرون درجة وربع وثلث عشر ومن رأس المناقب الى قرن — ويسمى قرن المنازل — ستة أميال . انتهى . وقد يعدل هذا الطريق من الفتق ، فيتجه شمالا نحو منهل غمرة ، فذات عرق — ميقات أهل العراق — حيث يجتمع مع طريق العراق الى مكة . وتبلغ نهاية اتجاهه شمالا في منهل غمرة ، التي ذكر الهمداني (ص ١٨٥) ان عرضها ٢٢ درجة وأنها تبعد عن ذات عرق ٢١ ميلا وذكر ان عرض ذات عرق (٢/٣ ٢١ درجة) .

ووصف ابن رسته (ص ١٧٩) غمرة بأنها منزل خصب ، كثير الماء من البرك والآبار ، وقال : ومن هذا المنزل يحرم الحاج الا الجماليين فانهم يحرمون من ذات عرق . وقال قدامة بن جعفر الكاتب : ومن الغمرة تعدل الى اليمن ، فمن الغمرة الى الخدد ١٢ ميلا ، وهو موضع البريد وهي موضع — يسر مولى عثمان بن عفان ، ومن الخدد الى الفتق ، ومن الفتق الى تربة وهي قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع ، وهي قرية خالصة مولاة المهدى .

ولعل من المفيد ان نذكر هنا من أرجوزة الرداعي ماله صلة في هذا الموضوع ، لأنه حدد مراحل هذا الطريق ، وعدد مناهله وبين كثيرا من اعلامه قال :

ثم انتحت بالسير — منها — المطنب   الى « غرابات القرين » الأنصب
ثم « الخريداء » بوخد متعب   ثم الى « ضفن » روى المشرب
ثم على « ركبة » مر الأركب

الغراب : قرن منتصب ، والخريداء أرض واسعة ، وضفن منهل تأتيه الأعلاف من مطار من ناحية الطائف .

قلت لها في مطلخم طاخ   « بأوقح » ذي المنهل الوضاخ
يا ناق ، هم الشهر بانسلاخ   فانتهضت بمشرف شماخ
عن «ذي طوى» ذي الحمض والسباخ   قاربة للورد من « كلاخ »

أوقح : منهل على واد عذب الماء وقيل لعليل من أهل صنعاء ، ــ وهو في منزله ــ : ماذا تشتهي ؟ قال : شربة من ماء أوقح . وكلاخ : واد ماؤه ثقيل ملح ، وكل هذه البلاد من تبالة الى نخلة ، ديار هوازن ، فيها من كل بطونها .

يا هند لو أبصرت عن عيان ... قلائصا يوضعن في « جلدان »
بالقوم من يقظان او وسنان ... علمت من ذو الفضل في الركبان

جلدان : موضع ، قاع .

اذا انتحى القوم على الخوص العتق ... عن «ذات أصداء» سنا في «الفتق»

أقول للبارق وهنا اذ برق ... هيجت أشجانا لذى شوق علق

* * *

..فقلت لما ثاب لي احتفاظي ... سل الهوى عن قلبك المغتاظ
والعيس تطوي الأرض بالمظاظ ... مسهلة للخبت من « عكاظ »

* * *

فانجردت بالرفق العصائب ... عيدية مفعمة المناكب

تاركة « قران » لـ « المناقب » ... و « شربا » في جنح ليل واقب

* * *

حتى اذا أدنى الركاب مدني ... استبدلت بالخوف دار الأمن
وجاءت الميقات « وادي قرن » ... ومسجدا حف بزي الحسن

بقرن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وبئره ، وهو واد ونخل وحصون وهو على رأس البوباة .

ثم استطفوا فوق يعملات ... مفضين بالسير الى « البوبات »

البوبات : أرض منقلبة الى وادي نخلة ، ومصعدها الى قرن كثيب ، لا تكاد تعدوه الروايا والأنضاء .

ثم اعتزمن ــ العيس ــ بالتصميم ... قواصدا للمسجد المعلوم

تواركا « للكفو » « فاليسوم »

المسجد المعلوم مسجد ابراهيم عليه السلام ، الى رأس وادي نخلة ينزل الناس

فيصلون فيه ويدعون ، والكفو واليسوم جبلان بنخلة .

لضيعــة الطلحـــي مستقيمـــة صــادرة عنهــا تؤم « الزيمـــة »
ثــم علــى « سبــوحــة » القديمة الــى « أريــك » تعتلــي صميمــه

ضيعة الطلحي ــ من قريش ــ نخل قديمات . الزيمة موضع فيه بستان ابن عبيد الله الهاشمي ، وكان في أيام المقتدر على غاية من العمارة وكان يغل خمســة آلاف دينار ، وفيه حصن للمقاتلة مبني بالصخر ، ويحميه بنو سعد . . وعدد جذوعه الوف ، وفيه غيل مستخرج من وادي نخلة ، غزير يفضي الى فوارة في وسط الحائط تحت حنية ، ثم الى مأجل كبير ، وفيه الموز والحناء وأنواع من البقول ، وسبوحــة موضع . وأريك عقبة تضاف الى المكان فيقال عقبة أريك بضم الهمزة . والطريــق حينئذ من رأس المناقب الى مكة بين المغرب والجنوب ، ثم تكون الشمس ــ عاشيا ــ على صدغك الأيمن .

ثــم انتحت ، وخــدا على انكماش بئر « الجــذامي » بــاحتياشــ
الــى « حنين » المنهــل الجيــاش حتى اذا أفضــت الى « المشاش »
عجت بتحنــان لشـــوق غــاشي

آبار الجذامي : بئر معمورة ــ والجذامي من أهل مكة وحنين هو الذي كــانت فيه وقعة حنين بين النبي (ص) وهوازن . المشاش موضع تلتقي فيه محجة اليمن ونجد ، ومحجة العراق والبحرين . انتهى ملخصا .

٥ ــ وأنه يقع في صحراء مستوية ، خالية من الأعلام والجبال ، سوى صخرات كبار ، وحريرة في مهب الجنوب منه .

٦ ــ وأنه متصل بأرض ركبة ، ويقع حضن ــ الجبل المعروف ــ في مشرقــه مسيرة يوم وكسر ، ويقع وادي قران في مغربه بقربه .

٧ ــ وان من أوديته وادي « شرب » .

جـ ــ أيــن مــوقع ســوق عكــاظ ؟

ان جميع الأوصاف المتقدمة ، تنطبق انطباقا تاما على الأرض الواسعة الواقعة شرق الطائف ــ بميل نحو الشمال ــ خارج سلسلة الجبال المطيفة به وتبعد تلك الارض عن الطائف مسافة ٣٥ (كيلومترا) تقريبا ، ويحدها غربا جبال بلاد عدوان (العقرب ــ شرب ــ العبيلاء) وجنوبا : أبرق العبيلاء ، وضلع الخلص ، وشرقا :

صحراء ركبة ، وشمالا : طرف ركبة والجبال الواقعة شرق وادي قران . وتشمل هذه الارض وادي الأخيضر (وهو المعروف في العهد القديم باسم وادي عكاظ) وواد؛ شرب حينما يفيضان في الصحراء ، ويخرجان من الجبال ، وما بينهما من الأرض وما اتصل بهما من طرف ركبة .

د ـ المواضع التي بقرب عكاظ

ذكر المتقدمون مواضع كثيرة ، يستدل بها على موضع عكاظ ، منها ما هو معروف في هذا العهد باسمه القديم ، ومنها ما هو مجهول ، فمن المواضع المعروفة .

١ ـ **بس** : وهو جبل أسود (طرف حرة) مشرف على منهل عشيرة التي هي المحطة الاولى بعد قرن المنازل للذاهب الى نجد ويقع هذا الجبل شمال موقع عكاظ ، بمسافة أقل من مسيرة نهار للأبل .

٢ ـ **جلدان** : قال الهجري : اصبع هضبة بجلدان . وجلدان اذا ـ خرجت ودبرت لية تعديت في جلدان ، غائط أبيض ، رقة بيضاء ، آخره كلاخ ا هـ. وحقا ما قال ، هي أرض سهلة واسعة ، تقع بين وادي لية وبين وادي بسل ، متصلة بركبة ، وفيها هضبة سوداء ، تسمى قديما « بتعة » نقل ياقوت عن الأصمعي ان بها نقبا ، كل نقب قدر ساعة ، كان يلتقط بها السيوف العادية والخرز ، ويزعمون أن فيها قبورا لعاد وكانوا يعظمون ذلك الجبل ا هـ وتسمى هذه الهضبة في عهدنا « الحلاة ، حلاة جلدان » ومن كلام بدو تلك الناحية من ملك نزهان ابن نزهان ، وأتانه وأتان وخمسين من الضان ومرعى جنب « حلاة جلدان » فهو سلطان ما عليه سلطان ، أي من ملك كلبا أصيلا ، وحمارين ذكرا وأنثى ، وخمسين شاة يرعاها في هذا الموضع فقد بلغ الغاية من العز .

٣ ـ **حضن** : وهو الجبل المعروف الذي ورد فيه المثل : من رأى ـ حضنا فقد أنجد ، ويقع شرقي موقع عكاظ ، ويشاهد منه عن بعد مسيرة يوم للأبل . وقد أضافه الهمداني الى عكاظ ، تمييزا له عن جبل آخر يسمى بهذا الاسم في بلاد باهلة (في عرض شمام) وآخر بقرب جبل أجا .

٤ ـ **ركبة** : وهي فلاة واسعة تبلغ مسيرة أيام للابل ، ولكل جهة منها اسم خاص كوجرة ، والسى . وعكاظ في طرفها الغربي الجنوبي ، متصل بها .

٥ ـ **شرب** : وهو واد عظيم أعلاه وادي العقيق ، الواقع غرب الطائف وشماله ثم ينحدر ماراً بمزارع القيم فأم الحمض فالقديرة ثم يلتقي به وادي الحوية من الغرب ، فيكونان واديا واحدا يدعى وادي « شرب » وعلى مسافة ميل واحد من

الحوية تقع قرية شرب في الوادي نفسه ثم يشمل الوادي حتى يلتقي بوادي العرج ، وهو أسفل وادي وج فيكونان واديا واحدا هو وادي ــ الأخيضر ثم يجوز السلسلة الجبلية ويفضي الى الأرض البراح فثم عكاظ حين تجتمع الأودية وتفضي الى ركبة . وقد يطلق على سوق عكاظ اسم شرب كما في قول الكميت ــ الذي أورده البكري في معجمـــــه (ص ٨٠٩) ــ

وفي الحنيفة فاسأل عـــــن مكـــانهم   بالموقفين ، وملقى الرحل من شرب

٦ ــ **العبلاء** : قرية ذكر الهمداني أنها خربت . وتقع بقرب العبيلاء قـــريـــة عدوان المعروفة ، وتقع جنوب عكاظ ، مجاورة له ، وقد ذكر الأصبهاني في الأغاني ــ في ترجمة ابن الدمينة ــ انه كان ينشد شعره في سوق العبلاء فلعل سوق عكـــاظ كان يطلق عليه سوق العبلاء وأنه امتد الى ذلك العهد ، خلافا لقول البكـــري ومـــن تـــــابعـــــه .

٧ ــ **عـــــــن** : جبل يقع يمين المتجه الى تربة ، ويشاهد علـــى مسافة بعيدة في طرف ركبة الجنوبي ، ويقع شرق قرية « كـــلاخ » ، وفيه وشل يرده بعضـــــــ المسافريـــن الـــذين لا يمرون بكـــــلاخ .

٨ ــ **قــــران** : واد ينحدر من الارض الواقعة بين وادي الحوية ووادي ــ السيل الصغير (الواقع غربه) ويجتمع بالعقيق الكبير ، الذي هو أعظم الأعقـــة وأطولها . ويقع وادي قران غرب عكاظ ، يفصل بينهما آكام (جبال صغيرة) تمتد من الجنوب الغربي ، الى الشمال الشرقي ، وقد عد الهمداني قـــران من أرض عكاظ ، والظاهر أنه خارج عنها . وفي العقيق يقول الصمة الجشمي ــ والد دريد ــ فـــي حرب الفجار التي وقعت في عكـــاظ :

ولاقت قريش غـــــداة « العقيق »   أمــــــرا ــ لهـــــا وجدته وبيـــلا

وجئنــــا اليهم كمـــــوج الأتـــــي   يعلـــو النجـــاد ، ويمــــلا السبيـــلا

المواضــــع المجهولـــــة :

١ ــ **الأثيداء** : الموضع الذي ذكر الأصمعي أن السوق يقام فيه .

٢ ــ **بقعاء** : يفهم من قول عرام فكأنها بئر في أصل بس ، انها بئر عشيـــــرة القديمة ، أو بقربها ، اذ هذا الوصف ينطبق عليها .

٣ ــ **جبجب** : موضع نقل البكري عن ابن الأعرابي أنه من عكاظ .

٤ ـــ **الحريرة** ـــ تصغير حرة ـــ يفهم من كلام المتقدمين انها هي المعروفة الآن باسم « ضلع الخلص » والضلع في لغة عرب هذا العصر : الجبيل ، وهذا الخلص : جبيل أسود صغير يقع في الجنوب بميل قليل نحو الشرق من موقع عكـــاظ .

٥ ـــ **الخدود** ـــ أو الخد : قرية . يفهم من كلام الحموي والزبيدي ـــ وقبلهما قدامة الكاتب وقد مر كلامه ـــ أنها تقع شمال عكاظ ، فيما بينه وبين منهل عشيرة .

٦ ـــ **دخم** : الجبل الذي لجأت اليه بنو كنانة يوم شمطة . لا يبعد أن يكون هو الجبل المسمى في عهدنا بـ « الصالح » بقرب قرية « العقرب » لعدوان ، ويسمونـــه الصالح لاعتقادهم بأن رجلا صالحا قبر فيه ، وهم يعظمون ذلك الجبل في العهـــــد الماضي ويقع غرب موقع عكاظ بمسافة قصيرة .

٧ ـــ **شمطة** : موضع في عكاظ ، غير معروف .

٨ ـــ **عين خليص** : غير معروفة ، ولعلها كانت بقرب ضلع الخلص .

٩ ـــ **الفتق** : بلد قد خرب ـــ كما ذكر ذلك الهمداني ـــ ويفهم من كلام المتقدمين انه جنوب عكاظ ، بينه وبين العرج . وقول أبي عبيدة (بـــه أموال ونخل لثقيف) يقصد الفتق ، لا عكاظا ، لانه ذكر في خبر الفجار ـــ الذي نقلـــــه البكري عنه ـــ أن عكاظا بلد لبني نصر ، ولهم فيه نخل وأموال .

١٠ ـــ **القفا** : جبل ، يدل كلام عرام على أنه أحد الجبال المجاورة لعن ، الواقعة جنوب ركبة ، وقد أورد عرام فيه هذا البيت :

وقالوا : خرجنا م « القفا » وجنوبه و « عن » فهم القلب أن يتصدعـــــا

هـ ـــ سكان هـــــذه النـــواحـــي

أشار المتقدمون الى أن هذه الجهات منازل هوازن ، ثم صارت لبني هـــلال والظاهر أن بني هلال حلوها وقت انتشارهم وقوتهم ، في القرنين الثالث والرابـــع الهجريين ، ثم لما هاجروا بعد ذلك الى مصر ، ثم الى بلاد المغرب ، عاد سكانهـــــا القدماء اليها ، ولا يزالو نبها ، فمن سكانها :

١ ـــ **الجثمة** : وأحدهم جثامي ، وقد يقال : جشامي ، بتخفيف الشين حتى تقرب من الثاء ، والجثمة ، تحريف « الجشمة » بالشين لتقارب الحرفين في بعضـــ صفات النطق ، وهم بنو جشم بن بكر بن معاوية بن هوازن اخوة بني نصر ، وقبيلة دريد بن الصمة ، وتسكن هذه القبيلة في وادي قران ، ووادي العقيق وفي السيـــل الصغيـــــــــر .

٢ ـ **عدوان** : القبيلة القديمة التي منها حكيم العرب ، عامر بن الظرب ، وذو الأصبع الشاعر ، وغيرهما . وتسكن في قرية « العقرب » وهي على ضفة وادي الأخيضر ، في أعلاه ، وفيها نخل وزروع ، وفيها عين أوشكت ان تغور . وفي قريـــة « الخضيراء » الواقعة على ربوة شرب الغربية بقرب « المطار » وفي قرية « العبيلاء » .

٣ ـ **العصمة** : وهم حلفاء لبني جشم منذ العهد الجاهلي ، كما كتب النسب . ويسكنون أسفل وادي لية ، في واد يسمى باسمهم .

٤ ـ **ثقيف** : كانت قبيلة ثقيف تجاور هوازن ، في أسفل أودية الطائف (ليـــة ـ العرج ـ شرب) ولكنها ارتفعت الى أعلى تلك الأودية ولا تزال فيها الى هذا العهد .

و ـ آراء المتأخرين في تحديد موضع عكاظ

١ ـ رأى الاستاذ خير الدين الزركلي قال في رحلته « ما رأيت وما سمعت » : وعلى ذكر السيل ـ أو اليمانية ـ لا أرى أن تفوتني الاشارة الى أشهر سوق مـــن أسواق العرب ، أعني سوق عكاظ ، لوقوعها في تلك الطريق على مرحلتين من مكـــة للذاهب الى الطائف عن طريق السيل . يميل قاصد عكاظ نحو اليمين ، فيسير نحـــو نصف ساعة ، فاذا هو أمام نهر في باحة واسعة الجوانب يسمونها « القانـــــس » بالقاف المعقودة ـ وهو موضع سوق عكاظ الى أن قال : والواقف في القانس ـ أو عكاظ ـ يرى على مقربة منه موضعين أحدهما يسمى الدمة ـ بكسر ففتح ـ والاخر البهيتة ـ بصيغة التصغير ـ وعكاظ هو الفاصل بين الدمة والوادي الموصل الى الطريق التي يمر بها سالكو درب « السيل » اليمانية . ثم قال الاستاذ ـ بعد ايراد كلام ياقوت في المعجم ـ : وسمعت كثيرا من أهل الطائف يقولون : ان عكاظا في مكان يعر فاليوم باسم « القهاوي » في وادي لية ، من الطائف غير ان الشيوع يؤيدهـــا قلناه آنفا ، من أنه القانس نفسه ، وعليه أكثر العارفين من أهل هذه الديـــار .

٢ ـ رأى الأمير شكيب ارسلان ـ رحمه الله ـ قال في الارتسامات اللطاف (ص ١١٠) بعد ان أورد كلام الاستاذ الزركلي المتقدم : أفلا يحتمل أن يكونوا أقاموا السوق مرة في القانس ، ومرة في المكان المسمى اليوم بالقهاوي على أن قول الأخ الزركلي ان القهاوي هي في وادي لية ، فيه نظر لان القهاوي ليست في وادي لية ، ولا وادي لية هو قريب من هناك . وقال (ص ١١) أن المسافة من المكان الذي كانت فيه سوق عكاظ الى مدينة الطائف ، هي نحو من ساعة بسير الكهرباء .

٣ ـ رأى الاستاذ عبد الله فلبي ، قال الدكتور محمد حسين هيكل باشا فـــي

« منزل الوحي » ـــ ص ٣٨٠ ـــ : أما المستر فلبي فيرجح السيل الصغير موقعا لعكاظ وقد وضعها على خريطته في مكان هذا السيل .

٤ ـــ رأى الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، قال في « منزل الوحي » ـــ ص ٣٨١ ـــ : انفرجت الجبال عن السيل الكبير ، فتخطت السيارة اليه . واستدرنا بالسيارة فيما وراء الجبل ثم اعتدلنا نقطع بطنا من الارض . ووقفنا في موضع يقال له « الخر » من واد يقال له « غسلة » وراء جبل يسمى « دما » وهبطنا من السيارة وسرنا خطوات . . ثم وقفنا عند آثار في تحوم الارض . . مستوية على سطحها ، يدل وجودها على وجود عمارة قديمة في المكان تتألف من ثماني غرف حسنة البناء ، ليست في شيء من منازل البدو . قال صاحبي ـــ بعد أن زرنا هذه الآثار ـــ : أشهد أني أميل الى ترجيح عكاظ بهذا المكان ، واحسب هذه الغرف الفسيحة كانت مقام سادة السوق قلت لعلك لم تبالغ اذ رجحت . ثم وصف الدكتور البناء وقال : انه يرجح عندي قيام عكاظ بهذا المكان . وان لم تقم سندا علميا على هذا الترجيح . انتهى باختصار .

وهذه الآراء تدور حول موضعين : السيل الكبير ـــ المعروف قديما بقرن المنازل ـــ في رأي الاستاذ الزركلي والدكتور هيكل باشا ، والسيل الصغير الواقع بين الطائف وبين السيل الكبير ـــ على مسافة تقرب من ثلاثين كيلومترا من الطائف في طريق مكة ـــ في رأي المستر فلبي . وقد أغرب الأمير شكيب ـــ رحمه الله ـــ حينما حاول الجمع بين القولين بقوله بامكان اقامة السوق في الموضعين،مرة هنا ومرة هناك.



بحث عن سوق عكاظ (*)

تمهيد :

ندر أن يخلومرجع من مراجعالآداب العربية قديمهاوحديثها من سيرة هذه السوق، ومكانها والمسافة بينها وبين الاماكن التي تجاورها ولا سيما الطائف ومكة ، وسبب اتخاذها موسما من مواسم الحج في تلك الايام الخالية ، ومعرضا لأحدث ما انتجه العرب ماديا وأدبيا ، ومنشدا لشعرائهم ومنبرا لخطبائهم ، ومعلنا لما يريدون من أصناف السلع .

وكم تساءل الناس : لم كانت أعظم أسواق العرب ؟ وأي القبائل كان لها الاشراف على السوق في الحكومة والقضاء والحراسة ؟ ومن كانوا يقصدونها ملثمين؟ ومن أول رجل أسفر ؟ وما أشهر أيام العرب فيها ؟ وما أبرز حوادثها ؟ وهل كان من أهدافها ترقية الآداب العربية ، وتهذيب مفرداتها وأساليبها ، والسمو بشعرها ونثرها ؟ وهل حقا قول القدماء :

ان كل الآداب الجاهلية كانت بلغة قريش ؟

وما أقدم هذه الآداب ؟

واذا صح أنها كانت مقصد الزعماء والقادة وكل ذي حاجة فهل كان النبي (ص) من روادها .

ومن أشهر حكامها ؟ ومتى قامت ؟ أصحيح أنها تامت بعد عام الفيل كما أجمع على ذلك الأولون ؟ وكيف أساغوا هذا مع أنه مجانف للصواب مجانف للحق ، كما دلت عليه تلك الوقائع المادية ، والمنطق ، واذا كانت الظروف لم تحد على القدماء بأكثر من هذا فهل في الامكان أن يكون للأدباء والباحثين الان رأي آخر .

أيها الأدباء ، لقد تطور الزمن وتحررت العقول ، وأطلقت حرية التفكير من عقالها ، وكان من آثار هذه الحرية تلك النظرية التي ابتكرتها لقياس الأزمان الجاهلية عند العرب ، وهي التي أقرنى المجمع اللغوي عليها واعترف بها رسميا وكرمني مع من كرمهم في الجمعية الجغرافية في مارس سنة ١٩٥١ م .

---

* الفصل الاول من كتاب قصص عكاظ لصاحبه عبد العزيز مزروع الازهري طبع دار الكتاب العربي — ١٩٥١م

وفيما يأتي بيان شاف لأجوبة هذه الاسئلة التي لم يتفضل واحد من الباحثين الى الآن بتأليف كتاب فيها ، والتي كان لبحثة الالمان فضل التنقيب عن أخبار هذه البقعة التي عفت آثارها الان ، وفضل الاشارة الى مراجعها تسهيلا للباحثين وارشادا للراغبين ، فكان في طليعة من استفادوا منها أصحاب دائرة المعارف الانجليزية . فأفادوا بما كتب عنها .

١ ــ مكانها :

للبقاع حظوظ كما للناس ، فيارب بقعة كانت وقتا ما ملء السمع والبصر والفؤاد فلم تلبث ان تنكرت لها الايام فأضحت قفرا بلقعا ليس بها سمير ولا أنيس ، الا اليعافير والا العيس ! ! .

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذي أخنى على لبد

ومن هذه البقاع « **سوق عكاظ** » في بادية الحجاز من شبه جزيرة العرب فقد مرت بها أحقاب متطاولة في جاهليتهم ، وهي تعج بالوافدين عليها في مواسم الحج ، وتأنس بالحاضر والبادي من روادها الذين طالما ارتشفوا من كئوس المتعة في ارجائها ، وأنسوا باجتماع الشمل ، وانتشوا من مباهج الحياة فلم يكد ينصرم الثلث الاول من القرن الثاني الهجري حتى هبت عليها عاصفة الحرورية فطوى ذلك البساط وانطفأ ذلك النور وجفت رياحينها وخرست بلابلها :

واذا نظرت الى البلاد وجدتها ... تشقى كما تشقى العباد وتسعد

هذه البقعة التاريخية كانت وما زالت ببلاد الحجاز بين نخلة والطائف ، ولكن هذا المكان ليست له صورة ، ولا حدود محصورة كما يقول النحويون في الظرف المبهم لذا نجد الباحثين العصريين الآن في حيرة من أمره ، وفي تعب مقيم مقعد للعثور على حدوده دون جدوى .

ولعل في تقرير الأصمعي ما يريحنا نوعا من التيه في هذه الصحراء البلقع ، فقد قال : عكاظ نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، وهي الى الطائف أقرب ، بينهما عشرة أميال . والباحثون العصريون الآن يقدرون المسافة من الطائف الى مكة بنحو ١٣٠ كيلومترا وتقرب من ٨٠ ميلا بأميالنا الحديثة الان ، وقياسا على هذا تقدر المسافة بين عكاظ والطائف بنحو ٤٠ كيلومترا ، فيكون من مكة الى عكاظ نحو ١٧٠ كيلومترا ــ تزيد قليلا على مائة ميل ــ .

المسافة بمقاييس القدماء :

أما القدماء فقد قرروا ان المسافة بين عكاظ والطائف عشرة أميال ــ كما تقدم ــ واذا كان الأمر كذلك فالمسافة بين الطائف ومكة ثلاثون ميلا لانهم قرروا أنها

تقطع بسير الابل في ثلاث ليال ، ودلالة هذا ان المسافتين أربعون ميلا تقطع في أربع ليال ، لكل ليلة عشرة أميال بالأميال القديمة ، وكأن الميل القديم بمقدار ميلين ونصف ميل من الأميال الحديثة .

ولا تنس ان ميل القدماء لم يتفقوا على طوله كما اتفق العصريون الان ، فقد يكون ٩٦ ألف اصبع ، وقد يكون ثلاثة او أربعة آلاف ذراع ، وكما اختلفوا في الفرسخ أهو ٩٠٠٠ ذراع بذراع القدماء أو ٢٠٠٠ بذراع المحدثين او ساعة أي جزء غير محدود من الزمن ، أو راحة يسير الابل العادية او ثلاثة أميال هاشمية .

وكلما توغلنا في أقوال السابقين زدنا حيرة ، وعز علينا ان نعرف الحقيقة .

أما مقاييسنا الان ومنها الميل فهي محدودة الى درجة هي الغاية في الدقة وقد عرفت طول المسافة بأميالهم وأميالنا .

وعدم اتفاقهم على المقاييس الطويلة مما أثار المتاعب أمام الباحثين الان .

نماذج من اختلاف الباحثين الان :

ولو أن القدامى اهتدوا الى ما اهتدينا اليه الان ، ووحدوا كلمتهم في تحديد مقاييسهم ما وجدنا عنتا لمعرفة أي بقعة من بقاعهم التاريخية ولكن من قال ان عيشة البدو كعيشة المتحضرين ؟ فاذا كان من الطبعي ان يختلف الفريقان الى درجة بعيدة . فمن المنطق ان تكون مقاييسهم غير مقاييسنا ، ودقتهم غير دقتنا .

فلا حرج ان يختلف الباحثون من بعدهم اذا أرادوا ان يحددوا بقاعهم الأثرية :

١ — فهم يقولون ان السوق بآخر وادي ركبه المتصل بوادي عشيرة .

٢ — او بوادي عقرب ، في شرق الطائف ، بعد قليل من (أم الحمد) او (أم الحمض) .

٣ — أو عند السيل الصغير بالموضع المعروف باسم القهاوي — والى هذا يميل المستر فلبي .

٤ — أو بالسيل الكبير الى ناحية الشمال في موضع « الخر » في وادي عسلة . والى هذا مال الدكتور حسين هيكل باشا .

٥ — ورسالة موقع عكاظ التي ألفها الدكتور عبد الوهاب عزام واشترك فيها الاستاذان الشيخ ابن بليهد والصديق الشيخ حمد الجاسر تجعله في نقطة تكاد تكون متوسطة بين جبل بس شمالا ، وجبل حضن في الشرق يميل الى الجنوب ، والطائف في الجنوب الغربي ، والسيل الصغير غربا .

لأن أكثر التعاريف التي حددها به القدماء والبقاع تنطبق على هذا الموقع ، وأنا لا أوافقهم موافقة تامة على هذا كما سيأتي :

وأيسر ما اعتمد عليه أن هذا الموقع ليس بين نخلة والطائف وهو ما أجمع عليه القدماء .

٦ ــ رأي الاستاذ ابراهيم بك مصطفى

وأردت أن أثبت من رأي حضرة صاحب العزة ابراهيم بك مصطفى عضو المجمع اللغوي ، لان لرأيه قيمته ، فلما عرضت عليه البحث قال :

خير مرجع لهذا هو كتاب صفة جزيرة العرب لابن الحائك الهمداني وقد سجل فيه ارجوزة ابن أحمد الرداعي ، التي وصف فيها طريق الحج من صنعاء الى مكة ، ومن هذا الوصف يتضح ان عكاظ كان في الشرق من الطائف فقلت : ان المراجع كثيرة ، وكثير منها متضارب ، وأمر كهذا لا بد له من معاينة فهل عاضدتم هذا المرجع بمعاينة هذا المكان الأثري ؟

قال :

لقد كان لي الحظ أن أزور الحجاز سنة ١٩٣٤ م. فانتهزت الفرصة وأخذت أبحث عن مكانه حول الطائف ، فاقتنعت بأنه لا يصلح لتلقي وفود العرب على اختلاف قبائلها وبطونها وأفخاذها الا ذلك المكان لأتساعه ولآحاطة الاماكن التاريخية الباقية به التي وردت في كلام السابقين .

فقلت : ولكني أرجح ان عكاظ غرب المكان الذي اختاره الدكتور عبد الوهاب بك عزام وشريكاه في رسالة « موقع عكاظ » لأنه بدون هذا لا يتحقق قول السابقين : ان عكاظ بين نخلة والطائف ، او وراء قرن المنازل بمرحلة في رأي الأزرقي فقال :

ليس من الضروري ان تكون هذه البينية برسم المسطرة ، فقلت : مازلت عند رأيي في أن كل الحدود التي وضعها السابقون لعكاظ تنطبق على السيل الصغير ، ولا سيما اذا ثبت ان الوادي هناك يتسع لوفود الحجاج من أقاصي البلاد العربية فاذا لم يثبت هذا فالأمر لله ولمن يصرون على أنه شرقي السيل الصغير بمسافة تقرب من المسافة التي بينه وبين وادي ذي المجاز غربا .

فقال : اطمئن ، فليس السيل الصغير ، ولا الكبير ، ولا غيرهما بصالح صلاحية البقعة التي أخبرتك بها ، لتلقي وفود القبائل العربية ، ومما يسر رواد البحث أن كثيرا من الأماكن الأثرية التي وردت في كلام ابن الحائك لا تزال معروفة باسمها الى الان ، فقلت : أمن الممكن ان تحددوا لنا سعة هذه السوق بعد أن عاينتموها ؟

فقال : حسبك دلالة على انفساح أرجائها أنها تقرب من المسافة بين القاهرة وبنها !

فسألت : ما السبب في أن القدماء انقسموا الى معسكرين : معسكر يقول : ان عكاظ في نجد ، وآخر يقول : هو في الحجاز ؟ فأجاب : هذه البقعة لوقوعها بين الحجاز ونجد جعلت السابقين يختلفون هذا الاختلاف ولو ان الذين نسبوها الى الحجاز أدق . فلم أجد بعد هذا بدا من أن أشكر وأن أنصرف .

٧ — ويرى الاستاذ خير الدين الزركلي ان عكاظ على مرحلتين من مكة للذاهب الى الطائف عن طريق السيل ، بميل . قاصدا عكاظ نحو اليمين فيسير نحو نصف ساعة فاذا هو أمام نهر ، في ساحة واسعة الجوانب يسمونها « القانس » — بين مكة والسيل الكبير .

٨ — أما الأمير شكيب ارسلان — طيب الله ثراه — فقد أعترض على تحديد الزركلي ، وقال : ان المكان الذي فيه سوق عكاظ ، الى مدينة الطائف هي نحو من ساعة يسير الكهربا .

رأي الدكتور هيكل باشا :

أما اقتناع الدكتور هيكل برأي المرشد العربي من بني سعد واسمه « بادي » وميله الى أن عكاظ كان بالسيل الكبير ، أو على مقربة منه ووقوفه هناك عند آثار بناء في تخوم أرض مستوية مع سطحها ، يدل وجودها على وجود عمارة قديمة في المكان ، تتألف من ثماني غرف ، خشنة البنا وتصديقه قول رفيقه ، معجبا بما رأى ، حاسبا ان هذه الغرف الفسيحة كانت لسادة السوق ، . . . كل هذا ليس برأي علمي ، ولا يستند الى تحقيق يطمئن اليه العلماء ولهذا آثر ان يكل الامر الى هيئة علمية من علماء الحفريات تحقق تاريخ الآثار والغرض الذي انشئت له . . . هذا الرأي لا أتقبله وان كنت أميل اليه أولا ، لما يأتي :

أولا — لان المستر فلبي اطلع من غير شك على أطلال الحجرات الثمان التي يشير اليها الدكتور هيكل وعاين الجهة المحيطة بها ، ومع هذا لم يرتض أن تكون هذه البقعة وهي السيل الكبير موضعا لسوق عكاظ لظروف كثيرة رآها والمستر فلبي أخبر بهذا من الدكتور هيكل ومن مرشده ، ومن رفيقه ، والدكتور هيكل لم يزر هذه البقعة الا زيارة خاطفة لا تكفي لتكوين رأي صحيح ، اما المستر فلبي فقد مكث بها أعواما ، وزارها مرات ، وسجل في كل مرة ما لم يتنبه اليه في المرة السابقة .

ولا بد ان يكون قد جرب المسافة بينها وبين غيرها بسير الابل كما اعتاد واستعمل الا هذا لكفى ، فكيف وليس هذا آخر الآدلة .

ثانيا ــ أن الدكتور حسين هيكل باشا رأى هناك بقايا عمارة قديمة في المكان تتألف من ثماني حجر ، حسنة البناء ، ليست في شيء من منازل البدو والاعتراف حجة الادلة كما يقولون ، وقد اعترف بأن هذه المنازل ليست في شيء من منازل البدو ، فكيف يصدق مرشده عندما حسب ان هذه الغرف الفسيحة كانت مقام سادة السوق ؟! وسادة السوق لم يكونوا من الفرس أو الروم أو جنس آخر من غير العرب ! ! بل كانوا من بني تميم وقد كان اشرافهم على حراستها وقضائها وحكمها بعد عامر بن الظرب لا يشاركهم في ذلك احد من العرب او العجم ولم يعارض هذا واحد من الرواة او العلماء قديما وحديثا .

فليس بصحيح ان هذه الآثار من بناء بني تميم ، أو كانت منازلهم باعتبارهم سادة السوق ، لانهم من العرب ، ومن عادة العرب ان يسكنوا الخيام المتنقلة لا المساكن المبنية ، وليس البناء من عادتهم ، وهم عريقون في البداوة ولذلك لما تدمت وفود العرب على كسرى في الجاهلية أخذ النعمان بن المنذر يفتخر بالعرب ويفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثني فارس ولا غيرها ، فعجب كسرى من جرأته ــ وهو من أتباعه ــ وأخذته عزة الملك ، فعير النعمان بهوانها وتأخرها عن كل الامم ، لان للروم حظا في اجتماع الفها ، وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها . . . فرد عليه النعمان ــ مع أن كسرى ولي نعمته ــ وقال مفتخرا بالعرب : حصونهم ظهور خيلهم ، ومهادهم الارض ، وسقوفهم السماء . اذ غيرها من الأمم انما عزهم الحجارة والطين . . فلم يبق الا ان هذه المباني كانت من آثار دولهم المتحضرة كثمود او الأنباط او الآراميين ، وأهل ثمود اشتهروا بصناعاتهم الصخرية ونحتهم من الجبال بيوتا ، وليس بين أيدينا ما يدل على أنهم بنوها لحراسة سوق عكاظ والاقامة بها أيام الحج لهذا لا أميل الى ما مال اليه الدكتور هيكل ، بل أميل الى أن عكاظ كان في السيل الصغير او في الشرق منه ، وهو المكان الذي اختاره الدكتور عبد الوهاب بك عزام وشريكاه والذي يؤكد هذا وان الدكتور هيكل نفسه غير مقتنع بهذا الرأي قوله بعد تصديقه مرشده : وان كنت أوثر ان تقوم هيئة علمية بحفريات تحقق بها تاريخ الآثار والغرض الذي انشئت له .



الطرق من مكة الى الطائف

كل باحث في عكاظ لا مفر له من سماع موازنات بين المسافة من مكة الى عكاظ ، والمسافة من عكاظ الى الطائف ، والمسافة من مكة الى الطائف . وقد انتهـــزت الفرصة لزيارة أخي الاستاذ البحاثه الشيخ حمد الجاسر لمصر ، فطلبت اليه أن يحدثنا عن الطرق التي تربط مكة بالطائف ، لانه فوق خبرته بآداب ـــ العرب وتاريخهم حجة في جغرافية الجزيرة العربية قديما وحديثا ، فقال : للطائف من مكة أربعة طرق :

١ ـــ طريق يمر بعرفات ، وهو أقصر الطرق وأوعرهـــا .

٢ ـــ وطريق يمر بمنهل حنين « عين الشرائع » وكانت القوافل ولا تـــزال تـــأتـــي وتـــروح منـــه .

٣ ـــ والطريق المار بالشرائع ، فوادي يدعان فوادي سبوحة فقرية الزيمة . . وهذا الطريق هو الطريق الأساسي للسيارات والقوافل الآن .

٤ ـــ والطريق الرابع لا ينحرف بعد المناقب ، بل يتجه شرقا حتى يجـــوز الجبال ، ويدع الطائف أيمنه ، فيمر (بقرب عكاظ) ثم يأتي الى الطائف من أسفله .

والمتقدمون الذين قرروا ان سوق عكاظ بين نخلة والطائف قصدوا هذا الطريق. . فقلت له : حدثنا السابقون ان قريشا في الفجار الرابع انهزمت في ثلاث وقعات ، ولم تنتصر الا مرة واحدة فأي الطرق سلكت بعد انهزامها وأوبتها ؟

فقال : في هذه السبيل سارت قريش حينما انهزمت في وقعات الفجار مـــارة بنخلة ، كما سلكه رسول الله (ص) في غزوة الطائف فمر بنخلة اليمانيـــة .

فلو أردت ان أوجز ما قدمت ما زدت على أن عكاظ ومجنة وذا المجاز كانت مـــن ضواحي مكة ، ولكن ليس معناه ان المسافة بين مكة وهذه الاسواق كانت كالمسافة بين القاهرة ومنطقة الزيتون او حلوان ، لان المسافة بين عكاظ ـــ وهو أبعدها عـــن مكة ـــ كانت أطول من البعدين أي ضاحية من هذه الضواحي وبين القاهرة ، وان كانت المسافة بين مجنة وذي المجاز أشبه في البعد بضواحي القاهرة ومكة تعتبـــر مركز الدائرة وعكاظ في الشرق المنحرف قليلا الى الجنوب . ويكاد خط واحد مقوس ممتد من الغرب الى الشرق ينتظم (مكـــة) و (عكـــاظ) و (ذا المجـــاز) .

ولو أنك رسمت قوسا متجهة الى الجنوب الشرقي وكانت (مكة) و (الطائف) طرفي هذه القوس ، ثم قسمت القوس أربعة أقسام من الشرق الى الغرب لكان الربع الاول بين الطائف وعكاظ ، والأرباع الثلاثة الباقية بين عكاظ ومكة جهة الغرب .

وهذا التحديد مقتبس مما اعتمده كثير من المؤرخين قديما وحديثا وهو يخالف مـــا سار عليه المستشرق الألماني ملر ، فقد رسمها على النحو الذي نرسم بـــه خرائطنا وحرر عليها أسماء البلاد التي حررها الأدريسي على خريطته وعكاظ تقع على هذه الخريطة الى الجنوب من الطائف مع ميل قليل الى ناحية الشرق .

ويحدثنا الأزرقي فيقول : ان عكاظ سوق لقيس بن عيلان وثقيف وأرضها لنصر ، ومعنى هذا ان أرض عكاظ كانت لنصر لانها في أرضهم ولكن الحراسة كانت لقيس وبطونها ولا سيما ثقيف .

ميعـــادهـــا :

وكانت تعمر هذه السوق عشرين يوما من أول ذي القعدة ثم ينتقلون منهـــا الى سوق المجنة فيمكثون بها عشرة أيام ينتقلون الى ذي المجاز .

ســـوق مجنـــة :

أما سوق مجنة ففي شمال مكة بواد يطلق عليه الظهران ، قرب جبل « الأسفل ».

وكأنه أطلق عليه هذا لانه أسفل مكة ، وبينه وبين مكة قدر بريد .

وكأن « عكاظ » تبعد شرقا عن مكة ثلاثين ميلا ــ بالميل العربي القديم ــ .

ومجنة تبعد عنها شمالا بنحو ثلث هذه المسافة و (الظهران) التي تقوم فيهـــا سوق مجنة غير (الظهران) التي بها منابع البترول السعودية وهي التي تشـــرف عليها « شركة أرامكو » الأمريكية ، لان ظهران البترول قرب الخليج العربي «الفارسي» علـــى حدود صحـــراء الربـــع الخـــالـــي .

وقد ابتسم لها الحظ من اللحظة التي بدأ الامريكان يحفرون آبارها فـــي ١٩٣٥/٤/٣٠م.

وتحقق الأمل لهم بعد خمس سنوات ، قضاها أبناء العم سام في مجاهـــل الجزيرة العربية يحفرون البئر بعد البئر ، وينتقلون من قفر الى قفر وأخيرا كشفت الصحراء عن سرها في ١٩٣٨/٣/١٢م.

ومن أراد بيانا أوفى عن ظهران البترول فليعد الى رسالة أرضـــ المعجـــزات لأميرة الصحراء ، أما (ظهران مجنة) ففي شمال مكة كما تقدم وهذا التحديد لمجنـــة

مصدره الأصمعي ولم ينعقد الاجماع عليه ، بل اختلف الباحثون في تعيينه شأنهم في المواضع الأثرية التي عفت دمنها وأمحت معالمها .

ونقل الأزرقي ان مجنة كانت لكنانة وأرضها لها ، أي كانت الارض ملكا لها ، كما أن حراسة السوق كانت من نصيبها ، اذ ليس من الضروري ان يحرس الارض من يملكها ويؤيد هذا ما قدمته في عكاظ من أن السوق كانت لقيس عيلان وثقيف ، أما أرضها فكانت لنصر .

فالأمر في سوق مجنة غيره في سوق عكاظ في الملكية وفي الحراسة .

وهذه السوق هي التي حن اليها بلال فقال يبث لواعجه :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفخ وحولي أذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه (مجنة) وهل يبدون لي شامة وطفيل

سوق ذي المجاز :

قرر ياقوت ان ذا المجاز موضع سوق بعرفة على ناحية جبل كبكب على فرسخ من عرفة موقعه في موضع من سوق عرفة اليوم ، أو يكاد .

الهدف الأصلي لسوق عكاظ :

يخيل الي أن هذه البقعة اختارها العرب أولا للتجارة لانها مكان فسيح وكان به نخيل وفيه بعض المياه ولانه فوق هذا قريب من مناسك الحج ، فهو أصلح الأمكنة في الأشهر الحرم وآمنها ، لتبادل السلع التجارية بين البائعين والمشترين ، ومحطة تجارية كبرى لكل ما ينتجه السكان او يحتاجون اليه من الأطعمة والأشربة والملابس والكماليات الاخرى . شأن الاسواق العامة في كل الجماعات الأنسانية .

ويخيل الي كذلك انه لم يكن يطلق عليها عند اتخاذها سوقا عامة اسم عكاظ بل لم يكن قد اختير لها اسم بعد ، او اختير لها اسم مشتق من وظيفتها في تلك الحقبة ، كسوق الحج مثلا او سوق العرب او سوق الأشهر الحرم — اذ لم يكن مجنة وذو المجاز قد ظهرا عندئذ — .

ثم اتسع الغرض منها ، فبدلا من أن تكون مقصورة على السلع التجارية وحدها ضمت اليها سلع جديدة اخرى للترفيه عن الحاضرين ، وتسليتهم وعرض نماذج من الفكاهات ، او الملاهي ، او ما أشبهها من مظاهر المجهود الفني في الحركات الرياضية مثلا . . . ، فكان الحاضرون يجدون في هذا ما يسري عنهم ، ويخفف أعباء الحياة الجادة ، فلا يبخلون بمديد المساعدة لذلك الفرد أو تلك الطائفة تارة بالسلع التجارية واخرى بما يجودون به من النقود الهينة .

الأهداف الجديدة

ثم زادت الاغراض اتساعا لان فريقا من الشعراء انتحوا ناحية من السوق العامة ، فأخذوا يفتخرون بقبائلهم وأعمالهم وأيامهم وبطولتهم فوجد شعراء القبائل الاخرى تحرشا بهم فبادلوهم فخرا بفخر وهجاء بهجاء ووجدت النقائض سوقا رائجة لها من ذلك الوقت ، ولم تلبث تلك البدع الأدبية أن انتشرت بين العرب وقبائلها انتشار النار في الهشيم ، فأخذ كل ذي قدرة على الكلام من الأفراد والبطون والأفخاذ والقبائل يحاول أن يعكظ غيره أي يغلبه بالمفاخرة او المنافرة او المعاظمة وأخذت جمهرة من بالسوق تلتف حولهم معجبة بهم مشجعة اياهم فكان لهذه المرحلة الجديدة في تاريخ السوق أثر عميق وكثيرا ما كانت المفاخرة تجر الى المنافرة فيثور الجدل ويشتد انتزاع ويسرع كل الى سلاحه ، فاذا لم يسرع المصلحون الى اطفاء الفتنة استعرت نيران الحرب والتهمت ما صادفته من أخضر ويابس ، وشبان وشيوخ غير ما تزرعه من أحقاد وما تبذره من ضغائن واذا أدركها حكماء القوم وعقلاؤهم قتلوا الفتنة في مهدها وأصلحوا بين المتخاصمين واستلوا سخائم صدورهم .

فهذه البدع الجديدة في السوق مما دعا روادها ان يطلقوا عليها الاسم الخالد « عكاظ » ولم يلبثوا ان أطلقوا هذا العلم على السوق كلها وصار الناس بعد ذلك يطلقون عليها تارة عكاظ وتارة سوق عكاظ او موسم عكاظ او الموسم ، وما هذا الا تفخيم لهذا الفرض الجديد الذي هيج مشاعر العرب ولا سيما أنه صادف هوى في نفوسهم المطبوعة على الكفاح .

واطلاق الجزء على الكل معروف متداول عندهم ولا دلالة له الا ابراز ما للجزء من أهمية تضخمت فطغت على أهمية الكل ، فطوت شهرته في شهرته ويؤيد ما ذهبت اليه من أن التجارة كانت الهدف الأصلي لهذه السوق ما يأتي :

— روى الأزرقي :

« تضبط كل قبيلة أشرافها وقادتها ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء » وبعد ثلاثة أسطر رجع فقال في نفس الصفحة :

« وانما كان يحضر هذه المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز التجار : من كان يريد التجارة ، ومن لم يكن له تجارة ولا بيع فانه يخرج من أهله متى أراد » .

وروى البخاري عن جريح وابن عيينه ان هذه الاسواق كانت متجرا للناس في الجاهلية .

منزلة عكاظ في الجاهلية :

لم تكن أسواق العرب على سواء في الجاهلية بل كان لسوق عكاظ منزلة ممتازة بينها ، ويليه في هذه المنزلة سوقا مجنة وذي المجاز وتلى هذه الاسواق الثلاثة بقية أسواق العرب الاخرى التي كانت منبثة في شبه الجزيرة على مدار السنة — وسيأتي بيانها .

والذي جعل لعكاظ هذه الميزة أن أشراف العرب وزعماءها وتجارها كانوا لا يذهبون الى غير أسواقهم المحلية ، لانها كانت تقام في غير الأشهر الحرم ، فلو أنهم ذهبوا الى هذه الاسواق لكان سوء الظن متبادلا بينهم وبين أصحاب الاسواق فيغيروا عليهم وهم في حصانة من بلادهم ، فتكون العاقبة وخيمة ، وأما أصحاب الاسواق فكانوا يظنون ان القوم لم يقصدوا أسواقهم للتجارة بل للاغارة وأخذ الثأر ان كان لهم ترة فالمحافظة على الأموال والأنفس والثمرات هي التي كانت تحتم ان تكتفي كل قبيلة بسوقها المحلية .

أما سوق عكاظ ، ومجنة ، وذي المجاز فقد كانت موسمية سنوية من جهة وتقام في الأشهر الحرم من جهة ثانية وفي ضواحي مكة المقدسة من جهة ثالثة فليس هناك ما يمنع من غشيانها وأن تفد اليها كل قبيلة وكل حي لانهم يكونون آمنين مطمئنين على أنفسهم وعلى أموالهم اذ سيكونون في حصانتين مقدستين حصانة الأشهر الحرم وحصانة اقامتهم في جوار الكعبة : البيت الحرام ولا شك ان هذا يساعد على تبادل المنافع ، وترقية الصناعة والتجارة ، فيعود ذلك على الجهاز الاقتصادي كله بينهم بأطيب الثمرات والمال عصب الحياة في كل زمان وكل مكان ، فكيف اذا صحب هذا ربح اجتماعي ! ! يضاف الى هذا أن الاسواق الاخرى حتى ذو المجاز ومجنة كانت تقتصر غالبا على المبادلات المالية بيعا وشراء ، أما عكاظ فكانت أكبر مجال للتفاخر والتنافر ، واعلانا للمجيدين من الشعراء والخطباء والحكماء وساحة لتبادل الأسرى ومفاداتهم . . .

وقد درج العرب على ذلك آمادا طوالا ضمت فيما ضمته عهد جرهم ، وخزاعة ،

وقريش وعهد قريش كان أقصر ما مر بالسوق من عهود اذ لم تمكث مشرفة على الكعبة الا نحو ۲۰۰ سنة .

عكاظ اقدم من الملكة القريشية :

ومن عجب ان الناس دابوا على أن سوق عكاظ لم يكن للناس بها عهد الا في زمن قريش وأن اللغة وآدابها لم تزدهر الا بفضل اشرافهم الأدبي ، وأن هذه اللهجة التي نزل بها القرآن ما هي الا لهجتهم وما نزل بها القرآن الا لتخليد فضلهم وتسجيل آثارهم ! !

الناس معذورون بعض العذر في هذا لان أكثر من عهدوهم من الرواة انما كانوا تلاميذ مدرستها ولم يتصلوا بعهد جرهم أو خزاعه بل بعهد قريش والرسول الأعظم لم يكن الا منها والخلفاء الراشدون الأمويون ، ثم العباسيون الذين دونت اللغة في أيامهم ليسوا جميعا من تلك القبيلة المجدودة المحظوظة .

والاعتراف بالجميل ، وبعد النظر يقضيان ان تنسب اللغة اليهم على أقل تقدير . لذا لم تجد ذا شجاعة حدثته نفسه أن يثور على تلك الدعوى الزائفة ، والا فمن هو ذلك الأحمق الذي يخاطر بحياته أو بمستقبله ويقدم على مخالفة الاجماع ! !

حقيقة اللهجة التي نزل بها القرآن :

بينت في ص ۲۱۹ وما بعدها في كتابي ، الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي (الذي كان له شرف الفوز في مسابقة المجمع اللغوي بمصر سنة ۱۹٥۰ — ۱۹٥۱م٠) ان اللهجة التي نزل بها القرآن ليست لهجة قريش ، بل هي أقدم من هذه القبيلة المجدودة المحظوظة بأحقاب متطاولة ، ودعمت مذهبي بثمانية من الأدلة هي الدليل المنطقي ، والدليل القبلي ، والدليل الزمني ، واجماع الرواة ، ورأى علماء اللغة العصريين ، والنصوص الأدبية ، والنقوش الأثرية ، ثم توجت تلك الادلة بدليل ثامن هو تسع من الآيات القرآنية في : سورة يوسف ، سورة الرعد ، وسورة النحل ، وسورة طه ، وسورة الزمر ، وسورة فصلت ، وسورة الشورى ، وسورة الزخرف وسورة الأحقاف وكلها تقارير صريحة صادرة من الله بأنه أنزل كتابه الخالد بلسان عربي لا قرشي .

فماذا بعد الحق الا الضلال ؟ ومن أصدق من الله حديثا ؟ وسبق ان بينت في ذلك الكتاب ان تلك اللهجة الأدبية التي نزل بها القرآن قديمة العهد جدا ، أقدم من قصى باني مجد قريش بأزمان سحيقة ، ولا يطعن في هذا ذلك الاختلاف التافه في

لهجات القبائل العربية ، فأكثر العرب كانوا يستعملون لهجتين للمحادثة : اللهجة الداخلية لكل قبيلة على حدة ، اذا حادث بعضهم بعضا في داخلها ، واللهجة العامة بين الأدباء والقادة اذا كانوا يحادثون غيرهم من القبائل الاخرى .

ثم قلت : ويقرب الى أذهاننا هذا ان للمتعلمين منا لهجتين للمحادثة :

(أ) لهجة لمحادثة المثقفين اذا كنا في القاهرة ، او احدى الجواضر العربية أو المدن الكبرى .

(ب) ولهجة لمحادثة أقاربنا في الصعيد او أسفل الارض : الوجه البحري بمصر ـ اذا كنا هناك .

ولا ينكر واحد ان لهجة الوجه البحري في مصر غير لهجة الوجه القبلي واللهجتان غير لهجة أهل القاهرة ، كما لا ينكر في الوقت ذاته أن أهل الصعيد يفهمون لهجة الوجه البحري ، وأهل الوجه البحري يفهمون لهجة الصعيد وأن نسبة ما يفهمونه من ألفاظ تلك المحادثة يربى على ٩٩٪ .

هكذا شأن العرب في شبه جزيرتهم ، في جاهليتهم الأولى والثانية .

عود على بدء :

فاللهجة المنغومة التي كان يهدر بها الشعراء والخطباء في سوق عكاظ لم تقتصر على عهد قريش وحده ، بل كانت كذلك في عهد خزاعة بل كذلك في جزء كبير من عهد جرهم ، لان مدة خزاعة وقريش لم تزد على ٥٠٠ سنة ، وقد أثبت بالنصوص التي استشهدت بها على قدم اللهجة القرآنية ان منها ما يرجع الى القرن الثامن قبل الهجرة فالفضل في توحيد اللهجة الأدبية العربية يعود الى سوق عكاظ لا الى قريش ، لان كل شاعر من رواد السوق كان يحرص على أن يفهم شعره كل الحاضرين والسامعين ، وأن يحفظه كثير من هؤلاء ، ولا يتحقق هذا الأمل الا اذا كان باللهجة الأدبية العامة ، لا باحدى اللهجات الخاصة .

كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

نماذج مما كان يجري في سوق عكاظ وتحقيق زمانها

تمهيد

هذا الباب في نظري أهم أبواب الكتاب الأربعة ، لا لانه انتظم في عقده وفي نسق واحد أشهر حوادث هذه السوق الجامعة ، بل لانه فوق هذا حقق تاريخها علميا ورياضيا قبل الهجرة المحمدية ، وبعد الميلاد المسيحي الى درجة تقرب من الواقع نحو ٨٠٪ ولأني بسطت فيه هذه الحوادث مرتبة ترتيبا تصاعديا في الزمن : الحديث منها أولا ، والقديم ثانيا ، والأقدم أخيرا .

ولا يقل عما تقدم أني عرضت اثنتين وعشرين حادثة في عصور مختلفة وقعت في هذه السوق ، ووضحت ايضاحا تاما كيف يسير الباحث اذا أراد أن يحقق تاريخ أي أثر من آثار الجاهلية ، أو أي يوم من أيام العرب في جاهليتهم فهذه الأنماط الحديثة المبتكرة لمزج الأدب بالتاريخ بالرياضة هي تمارين عملية مجدية سيستفيد منها المبتدىء والمنتهي لتعيين الزمن بدل أن يكتفي بالقاء الحوادث التاريخية مبتورة الصلة بزمانها كما اعتاد القدامى .

وقد نثرت في هذا الباب أشهر الحوادث التاريخية وبدأته بما كان منها ذا صلة بسيدنا محمد (ص) ثم سرت مترفقا في أعماق التاريخ ، منتقيا كل ما له صلة بسوق عكاظ تلك السوق التي كانت أصفى مرآة لعرب الجاهلية في الأخلاق والعادات والطباع والحروب وأعذب معين للأدب العربي من أقدم عصوره ، وأكبر مدرسة للشعر والخطب في تلك الايام الخالية وأول نواة لتجميع تلك الأمة الخالدة في تفرقها وفي اتحادها ، وكل تلك الحوادث التي سجلتها هنا براهين عملية واقعية ، بعد البراهين النظرية التي سقتها على أن هذه السوق أقدم بآماد سحيقة مما سجله معجم البلدان ومعجم البكري ومن سبقوهم من المؤرخين والرواة ومن لف لفهم ممن جاؤا بعدهم ، وأبعد زمنا من السنة الخامسة عشرة بعد عام الفيل التي ادعوا ان هذه السوق قامت فيها .

ولست أدعي أني شفيت صدري بما ذكرته هنا الى الدرجة التي أهدف اليها

بل لن اكتفي بالزمن الذي عثرت فيه على جزء من تاريخ عكاظ في القرن السابع قبل الهجرة وتنفيذا لهذا الوعد سأواصل بحثي وتنقيبي حتى يقتنع المنكرون أني أقرب الى الصواب من غيري ، وأن قدم هذه البقعة الخالدة سبق الميلاد المسيحي بمئات السنين واذا ثبت هذا ثبت ان الآداب العربية عريقة في مجدها وقدمها .

منـــابـــر عكـــاظ :

من تقاليد العرب ان الخطيب منهم في غير خطب التزويج كان يخطب قائمـــا او على نشر من الارض ، او على ظهر راحلته ، وعلة هذا واضحة لانه أدعى الـــى أن يشرف على كل المحتشدين ، فيسمعهم صوته ويراهم ويروه فيتم له بذلك تأديـــة رسالته ، وتسجيل خطبته .

ولما كانت عكاظ تحتفل بخطباء الموسم وشعرائه وكل ذي لسن احتفالا منقطع النظير في كل سنة لم يرق هؤلاء ان يقتنعوا بالوقوف وحدهم لان شأن الناس جميعـــا في الاسواق الوقوف فعمدوا الى اقامة المنابر ليرتقيها من يريد .

وقد حدثنا المرزوقي انه كان بعكاظ منابر في الجاهلية يقوم عليها الخطيـــب بخطبته ومقاله وعد مآثره وأيام قومه من عام الى عام فيما أخذت العرب أيامهـــا وفخـــرهـــا .

وكانت المنابر قديمة يؤيد هذا قول حسان يصف ملوك الغساسنة ويمدحهم :

أولاء بنـــو ماء السمـــاء توارثـــوا دمشق بملـــك كابرا بعـــد كابر

يؤمـــون ملـــك الشام حتـــى تمكنوا ملوكا بأرض الشام « فوق المنابـــر »

(١) النبـــي (ص) في عكـــاظ

شاهدت هذه البقعة السعيدة كثيرا مما مر بها من مواكب الايام ومواكـــب الأقوام وكثيرا ما ضمت بين جناحيها كل بر وفاجر ونبيل وفسل ، ولكنها مع طـــول ما شاهدت لم تسعد بمثل سيد الخلق (ص) غلاما وشابا وشيخا وكهلا وهل أمها من قبل شخص به ختم الله الأنبياء والمرسلين وأخرج أمم العالم من الظلمات الى النور ، وكون امة ودولة وشريعة لا تزال موردا عذبا لكل ما يتطلبه المصلحون من قوانين تكفل سعادتهم في كل أمورهم دقيقها وجليلها .

لقد كانت سوق عكاظ مقصد الزعماء والقادة والمصلحين والتجار وغيرهم وقل أن تجد واحدا من العرب في الجاهلية لم يذهب اليها لانه من الصعب ان تتصور واحدا

منهم شذ عن هذه العادة او قعد عن تأدية مناسك الحج ، لان حجهم لم يكن الغرض منه القيام بهذه الشعيرة الدينية فحسب بل كان مع هذا فرصة للتجار والصناع وكل ذي اربة لمعاشه او معاده ، وكم قصدها القادة والمصلحون لنشر تعاليمهم واقناع الناس بحكمتها وأي المصلحين أولى من محمد رسول الله وخاتم النبيين !

وأي التعاليم أجدر بالنشر من تعاليم الاسلام ! وأي فرصة انسب من تلك الفرصة السنوية العامة !

لهذا كان من البديهي أن يقصدها سيدنا رسول الله ، لنشر الدين الجديد الذي وجد كل النفوس منصرفة عنه كل الانصراف بل كافحه زعماء الكفر من قريش لانه من المذاهب الهدامة المنذرة بدك كل ما لهم من مجد ومن نفوذ مع أن أهدافه أن يتسامى بالعرب الى حياة الوحدة والقوة والعزة والكرامة وسعادة المعاش والمعاد ، وقيادة العالم الى خيري الدنيا والآخرة .

١ ــ النبي في حرب الفجار :

أقدم ما سجلته الاخبار عن اتصاله (ص) بعكاظ حضوره حرب الفجار واشتراكه فيها ورميه بالنبل في صفوف قريش وحلفائهم ضد هوازن في « يوم شرب » أحد أيامها الأربعة ، ومن عجب أن قريشا سبق لها ان تجرعت مرارة الهزيمة سنتين متعاقبتين قبل يوم شرب : السنة الأولى « يوم شمطة » والسنة الثانية بعد يوم شمطة بسنة ، وكان ذلك في « يوم العبلاء » أما السنة الثالثة التي اشترك النبي فيها معهم في القتال فكان « يوم شرب » فقد كان من رماة النبال في صفوفهم ، فكان من حسن الطالع ان تنتصر قريش وحلفاؤها من كنانة على هوازن وحلفائها من قيس ، وكان النبي اذ ذاك ابن ١٤ سنة وجاء ذكر هذا في الحديث : « كنت أنبل على عمومتي يوم الفجار ، ورميت بأسهم ، وما أحب أني لم أكن فعلت » .

ومعنى هذا ان ذلك اليوم قبل الهجرة بتسع وثلاثين سنة لانه صلوات الله وسلامه عليه لما هاجر الى المدينة كان في الثالثة والخمسين .

٢ ــ استماعه خطبة قس الايادي :

وبعد هذه المرة ــ فيما أرجح ــ وقبل مبعثه (ص) عندما كان قلبه يخفق شوقا الى شيء مجهول ، وتهفو نفسه الى خبر من السماء حضر هذه السوق فلم يكن أدعى لانتباهه من خطيب العرب وحكيمهم قس بن ساعدة الايادي وخطبته التي أثنى عليها وعلى صاحبها ، وشهد له وأنه سيبعث يوم القيامة أمة وحده وستأتي الخطبة وظروفها في الباب الرابع .

٣ ـ بعض ما كان يلاقيه النبي لنشر الدعوة :

وقص علينا ابو نعيم أن عبد الرحمن العامري نقل عن أشياخه قالوا : أتانا رسول الله (ص) ونحن بسوق عكاظ فقال : ممن القوم ؟ قلنا من بني عامر ابن صعصعة ، قال : من أي بني عامر ؟ قلنا : بنو كعب بن ربيعة ، قال : كيف المنعة فيكم ؟ قلنا : لا يرام ماقبلنا ، ولا يصطلي بنارنا ، قا ل: فقال لهم : أني رسول الله ، فأن أتيتكم تمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي ، ولم أكره أحدا منكم على شيء ؟

قالوا : من أي قريش أنت ؟ قال : من بني عبد المطلب ، قالوا : فأين أنت من بني عبد مناف ؟ قال : هم أول من كذبني ! وطردني ! قالوا : ولكنا لا نطردك ولا نؤمن بك حتى تبلغ رسالة ربك ! قال : فنزل اليهم والقوم يتسوقون اذ أتاهم بجرة بن قيس القشيري ، فقال : من هذا الذي أراه أنكره ؟ قالوا : محمد بن عبد الله القرشي .

قال : ما لكم وما له ؟ قالوا : زعم أنه رسول الله يطلب الينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه !

قال : فماذا رددتم عليه ؟ قالوا :

قلنا في الرحب والسعة ، نخرجك الى بلادنا ، ونمنعك مما نمنع به أنفسنا .

قال بجرة : ما أعلم أحدا من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشر من شيء ترجعون به ! بدأتم لتنابذكم الناس ، وترميكم العرب عن قوس واحدة ! قومه أعلم به ! لو أنسوا منه خيرا لكانوا أسعد الناس به ! تعمدون الى رهيق قوم قد طردوه وكذبوه ! فتؤونه ! وتنصرونه ! فبئس الرأي رأيتم !

ثم أقبل على رسول الله (ص) فقال : قم فالحق بقومك ! فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك ! فقام رسول الله (ص) الى ناقته فركبها ، فغمز الخبيث بجرة شاكلتها ، فقمصت برسول الله (ص) ! وعند بني عامر يومئذ « ضباعة بنت عامر بن قرط » كانت من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله (ص) بمكة ، جاءت زائرة الى بني عمها فقالت :

يا لعامر ، ولا عامر لي ! أيصنع هذا برسول الله (ص) ! بين أظهركم لا يمنعه أحد فيكم ! فقام ثلاثة نفر من بني عمها الى بجرة والى اثنين أعاناه ، فأخذ كل رجل رجلا ، فجلد به الارض ، ثم جلس على صدره ، ثم علقوا وجوههم لطما . فقال رسول الله (ص) اللهم بارك على هؤلاء ! فأسلم الثلاثة الذين نصروه فقتلوا شهداء وهلك الآخرون لعنا .

وحدثوا أنه لما صدر الناس رجعت بنو عامر الى شيخ لهم كان قد أدركته السن ، حتى لا يقدر أن يوافي معهم الموسم ، فكانوا اذا رجعوا اليه حدثوه بما كان في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ــ بعد هذه الحادثة ــ سألهم عما كان في موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم حدث أنه أحد بني عبد المطلب يزعم أنه نبي ، يدعونا الى ان نمنعه ، ونقوم معه ، ونخرج به معنا الى بلادنا !

فوضع الشيخ يده على رأسه ، ثم قال : يا بني عامر ! هل لها من تلاق !

هل لذناباها من تطلب !

فوالذي نفسي بيده ما يقولها اسماعيل قط الا أنها الحق ! فأين كان رأيكم ! !

٤ ــ في عكاظ ومجنة وذي المجاز :

وروى الرواة عن عبد الله بن كعب بن مالك ان رسول الله (ص) أقام ثلاث سنين من نبوته مستخفيا ، ثم أعلن في الرابعة ، فدعا عشر سنين يوافي الموسم ، يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ ، ومجنة ، وذي المجاز ، يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه عز وجل ولهم الجنة ، فلا يجد أحدا ينصره ، حتى انه سأل عن القبائل ومنازلهم قبيلة قبيلة حتى انتهى الى بني عامر بن صعصعة فلم يلق من أحد من الأذى قط ما لقي منهم حتى خرج من عندهم وانهم ليرمونه من ورائه ، حتى انتهى الى بني محارب بن خصفة فوجد فيهم شيخا ابن ١٢٠ سنة فكلمه رسول الله (ص) ودعاه الى الاسلام وأن يمنعه حتى يبلغ رسالة ربه .

فقال الشيخ : أيها الرجل . قومك أعلم بنبئك ، والله لا يئوب بك رجل الى أهله الا آب بشر ما يئوب به أهل الموسم ! فأغن عنا نفسك !

ومن عجب أن أبا لهب كان يتتبعه فسمع كلام المحاربي فقال : لو كان أهل الموسم كلهم مثلك لترك هذا الدين الذي هو عليه ! انه صابىء كذاب فقال المحاربي : أنت والله أعرف به ! هو ابن أخيك ! ولحمتك !

٥ ــ استرشاد النبي بالعباس ليريه منازل القبائل :

ومما سجله أبو نعيم انه لما اشتد المشركون على النبي (ص) قال لعمه العباس : يا عم ! ان الله عز وجل ناصر دينه بقوم يهون عليهم رغم قريش عزا في ذات الله ! فامض بي الى (عكاظ) فأرني منازل أحياء العرب ، حتى أدعوهم الى الله عز وجل ! وأن يمنعوني ! حتى أبلغ عن الله عز وجل ما أرسلني به ! ! فقال العباس : يا ابن

أخي ، امض الى عكاظ فأنا ماض معك ! حتى أدلك على منازلهم ، فبدأ النبي (ص) بثقيف ثم بعد الجهر اقتضت الحكمة الالهية ان يكون نشر الدعوة الى الاسلام أول الامر سرا ، لما تقابله كل فكرة جديدة من المقاومة حتى ولو كانت نافعة لان الناس على اقل تقدير لم يألفوها ، وهم يجهلون حقيقتها وكم من فكرة راع الناس بريقها ولكنهم عند التطبيق وجدوا مسافة الخلف شاسعة بين نصوصها والعمل بها ! لهذا كان من الحكمة الكبرى ان تبطن الدعوة الاسلامية بغشاء من السرية وأن تظل هذه السرية ثلاث سنين ، فلما استقرت الفكرة على أسس متينة ، وأخذت تشق طريقها الى النفوس والقلوب ، أمر الله نبيه ان يجهر بدعوته ، فلم يكد ينذر عشيرته الأقربين في مكة حتى ولى وجهه شطر عكاظ ، وهناك دوى صوته مخاطبا من في السوق :

« يا أيها الناس ! قولوا : لا اله الا الله تفلحوا وتنجحوا » وان تعجب فعجب ان ينهض عمه ابو لهب — وكان يجب ان يكون اول من يكافح عنه ويصدقه — فيقول للناس : « ان هذا ابن أخي ! وهو كذاب فاحذروه ! » . فلما لم يثنه التكذيب عن الدعوة لجأ زعماء الكفر الى التهديد ! فلم يزده هذا الا استمساكا بحقه ، وثباتا على نشر دعوته قائلا :

« أيها الناس ! لا أكره منكم أحدا على شيء من رضي الذي أدعوه اليه قبله ، ومن كرهه لا أكرهه ! انما أريد أن تحوزوني مما يراد بي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي »

مع عمه العباس في السوق

وفي الخبر ان رسول الله (ص) ذهب مع عمه العباس الى عكاظ ! ليريه منازل احياء العرب فكان بعد هذا يتردد على من يتوسم فيهم مساعدته او الاقتناع بدعوته . ومن أسمح أحياء العرب الذين جاء الى منازلهم كنده عشيرة امرىء القيس بن حجر الشاعر الضليل ، والشاعر الصحابي الجليل امرىء القيس بن عابس فلم يأت أحدا من العرب الين منهم ، فجعل يكلمهم ويقول : « أدعوكم الى الله وحده . . فقال عامتهم : ما أحسن هذا القول ! ولكننا نعبد ما كان يعبد آباؤنا ! . . فقال أصغر القوم : يا قوم اسبقوا الى هذا الرجل ! قبل أن تسبقوا اليه ! فوالله انه للذي يحدث عنه أهل الكتاب .

هدايا ملوك اليمن لأشراف عكاظ

ومن بدائع ما امتازت به سوق عكاظ ما قصه علينا المرزوقي رحمه الله ومما قاله : كانت فيها أشياء ليست في أسواق العرب : كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد ، والحلة الحسنة ، والمركوب الفاره ، فيقف بها وينادي عليه ليأخذه أعز العرب ، يراد بذلك معرفة الشريف والسيد ، فيأمره بالوفادة عليه ليحسن صلته .

عكاظ

عكاظ : اذا انكبنا (البرث) وابارقه ، واعترض امامنا وادي (المبعوث) يأتـي من ناحية الجنوب الغربي ويصب ناحية الشمال الشرقي ، فوقه جسر كبير اذا اجتزنا هذا فقد دخلنا بحمى (عكاظ) فلنمض اذن حتى نصل النقطة المناسبة التي تتوسط المكان لنتمكن من استيعاب المنطقة ودراسة اعلامها وحدودها على ضؤ ما قرره العلماء العارفون . . ومن ثم نعطي رأينا حول ذلك .

ستنطلق بنا السيارة بعد اجتياز جسر (وادي المبعوث) أميالا لنكون بعدهـا بمحاذاة جبيل أسود يسار الطريق ، لا يبعد عنه الا أمتارا ، والى جانب هذا الجبيل شرقيه شماليه قلعة أثرية تقوم فوق جبيل آخر محاذ لهذا الجبيل . . ما ثمة علامة أميز ولا أظهر من هذا الجبيل وهذه القلعة . يراهما سالك الطريق بدون تكلف . . ويقابل هذا الجبيل وهذه القلعة من الشمال الغربي يمين الطريق هضيبات متناوحات سمراوات يقال لهـن (كليـات) . .

فما هو هذا الجبيل الذي أعطينا عنه هذا الوصف وما هي القلعة التي بمحاذاته؟؟ هذا الجبل هو (الخلص) والقلعة التي بجانبه هي (مشرفة) اريدك اذن تقف حيث هذا الجبل وهذه القلعة ، ولا تكلف نفسك أكثر من خطوات يسيرة تخطوها معي شطر جبيل (الخلص) وقلعته ، وستجد نفسك مدفوعا لتسلقهذا الجبل المتطامن لتبصر بعينيك الاعلام التي حدد بها العلماء موقع (عكاظ) ومن ثم تتصور المكان وتحكم عليه فالحكم على الشيء فرع عـن تصـوره . .

من قمة هذا الجبل سيكون المنظر الذي سيستبد باهتمامك هذا الوادي الأفيح ، يقبل من ناحية الجنوب الغربي ، وتنحسر عنه الجبال لتصب فيه روافد اخرى حينما يأخذ يدفع (بعكاظ) ، وهنا تتعانق طلوحه ويلتف سدره وتنداح بطاحه . سـوف يتابع نظرك حراج هذا الوادي وخمائله ويرجع ما بلغ نهايته من الناحية الجنوبية فعد ببصرك متبعا مسيل الوادي تجده حينما يقبل على جبيل (الخلص) الذي نحن الان

* فصل من كتاب المجازين اليمامة والحجاز تاليف الشيخ عبد الله بن محمد بن خميس

بقمته تتقلص أشجاره وينبسط في مثل السهوب جاعلا (الخلص) و (مشرفة) يساره ، وهناك يمر بماءة (المبعوث) وهو يقع تحت جبل (الخلص) و (مشرفة) من الناحية الشرقية الشمالية وهو للقثمة وبه بئران لذوي جود الله . والوادي حينئذ والماء يطلق عليها (المبعوث) وسوف تتابع هذا الوادي ببصرك وهو مشرق مشمل حتى يجاوز طريقنا من عند الجسر الذي انطلقنا منه على مشارف (عكاظ) ومنه يفضي الى (ركبة) ثم الأبرق وهو الذي تحدثنا عنه بعد (رضوان) ثم يسيح في محاير وأبارق هنالك في قلب (ركبة) .

ولهذا الوادي عدة أسماء باعتبار الارض التي يمر فيها فهو (المبعوث) منذ ان يلتقي وادي (المهيد) (بالأخيضر) حتى يدفع في (ركبة) ويضيع هنالك . . وما فوق (المهيد) مدفع (شرب) في (العرج) يسمى (قران) وما فوقه يسمى بـ (العرج) وما فوقه يسمى بـ (وج) وما فوقه يسمى بـ (المثناه) وما فوقه يسمى بـ (الوهط) و (الوهيط) وهكذا فهو واد واحد ينحدر من قمة جبال السراة من جبل (برد) وما حوله من الجبال ويمر بهذه البلدان فيأخذ من كل بلاد اسمها حتى يتلاشى في سهوب (ركبة) .

وما دمت في وقفتك هذه تصورت فكرة موجزة عن هذا الوادي بحيث ستتبين موقع (عكاظ) منه حينما يحدده الوصف ، فلا بأس ان نلقي معك نظرة عابرة على هذه الاعلام منتشرة هنا وهنالك وأكثرها نص عليه علماء المنازل والديار في تحديدهم لمكان عكاظ . .

سنستقبل معا مطلع الشمس من على ظهر هذا الجبل لنرى جبلين أسودين متناوحين ، يقعان بين مطلع الشمس وبين الشمال لا يبعد أحدهما عن الاخر أكثر من ميلين هذان هما (عويقران) الشمالي والجنوبي وبجانب الشمالي منهما ماءة (القرشية) وهي ثلاث آبار وماؤها متوسط العذوبة وعمقها اثنتا عشرة قامة وهي لقريش تقع في ضفة وادي (المبعوث) الجنوبية قريبا من جسر الطريق . .

ولم يذكر العويقران في الأعلام التي تحف بعكاظ وهما من أبرز العلامات الموجودة هنالك جبيلان متقابلان كالثديين لا تقتحمهما عين واصف ولا يمكن أن يغفلهما محدد . فهلا يكونان هما الاثيداء اسمهما مشتق من واقعهما . وقد حدد الأصمعي مكان عكاظ بالاثيداء ؟؟ لا يكون ذلك بعيدا !! هما لا يبعدان عن جبلنا الذي نحن بقمته أكثر من أربعة أميال بيننا وبينهما متسع الوادي حيث يقع ماء (المبعوث) يصوب

النظر فيكونان قبالته ويصعد من عن يمينهما بعيدا فيرى جبل (حضن) عندما تكون الرؤية واضحة وقد تحدثنا عن (حضن) ومناهله وما حوله . .

وحينما تحول نظرك الى اليمين قليلا وأنت لا تزال تشاهد (حضنا) ترى جبل (عن) جبلا فاردا يقع بين جبل (حضن) ووادي (ساموده) وفيه يقول الشاعر :

فقالوا : هلاليون ، جئنا مـــن أرضنا الى حاجة جبنا لهـــا الليل مدرعـــا

وقالوا : خرجنـــا ـــ م القفا وجنوبه وعـــــن فهـــم القلب أن يتصدعـــا

وقد ذكره مقبول بن هريس الشلوي من أبيات شعبية . . قال :

يا بو سعد خـــل الركايب يسيـــرن واذا غدا شـــي علـــى الله بدالـــه

وازم كمـــا يزمـــي على السابله عن يوم ردى الخـــال يبخـــل بمـــاله

نـــأخـــذ ثمان وجـــاب والنجر مادن البن بـــاح ولا يبقـــى الا دلالـــــه

وتقبل ببصرك من تلقاء (عن) منحرفا الى الجنوب قليلا لتشاهد جبلين متقابلين غربي وشرقي بينهما مسافة ليست بالبعيدة يقال لهما (الوقيران) وقير الشرقي ووقير الغربي يمتد من حذائهما حره سوداء حتى تشرف على وادي (المبعوث) وعلى ملتقى (شرب) بالأخيضر تطلع عليهما الشمس من تلقائها وقد ذكر ابن بليهد نقلا عن عرام بن الأصبغ قوله : (. . واذا كنت في عكاظ طلعت عليك الشمس على حرة سوداء وبها عبيلات بيض كان العرب يطيفون بها في جاهليتهم وينحرون عندها) .

وتقبل ببصرك أيضا تاركا الوقيرين والحرة وتهبط ببصرك الى حافة الوادي تحت الحرة لتشاهد أطلال دار متداعية عليها الأبد ، لا تكاد تتبينها لمشابهتها بالحرة التي تليها هذه يقال لها (الدار السوداء) حتى الان . .

وتتحول ببصرك ناحية الجنوب ، والجنوب الشرقي وليطمح نظرك بعيدا لترى جبلا فاردا هرمي الشكل لا يشابهه جبل في هذه الناحية ارتفاعا وصفة يقوم على متن من الارض أشبه ما يكون بالحزن هذا الجبل هو (حلاة جلدان) التي يذكرها علماء المنازل والديار حينما يذكرون هذه الناحية . . قال الاستاذ حمد الجاسر (. . وفيها ــ يعني جلدان ــ هضبة سوداء تسمى قديما (بتعة) نقل ياقوت عن الأصمعي أن بها نقبا كل نقب قدر ساعة كان يلتقط بها السيوف العادية والخرز ، ويزعمون أن فيهـــا قبورا لعاد ، وكانوا يعظمون ذلك الجبل) . ثم قال : (وتسمى هذه الهضبة في عهدنا (الحلاة ، حلاة جلدان) ومن كلام بدو تلك الناحية : من ملك نزهان بن نزهان ، وأتانة

واتان ، وخمسين من الضان ومرعى جنب جلدان فهو سلطان ما عليه سلطان أي من ملك كلبا أصيلا وحمارين ذكرا وانثى وخمسين شاة يرعاها في هذا الموضع فقد بلغ الغاية من العز . انتهى كلام الاستاذ حمـــد .

وجلدان هو الذي يعنيه الرداعي في ارجوزته حيث يقول :

يـــا هنـــــد لو ابصرت عن عيـــان   قــــلائصا يوضعــن في جلـــــدان

قال بعد هذا :

نقلت لما ثـــاب لـــــــي احتفاظـــي   والقلب فيــــه شبه الشــــواظ

سل الهـــــوى عـــن قلبك المغتاظ   والعيس تطـــوي الارض بالمظـــاظ

مشفقـــة من زاجـــــر كظـــــــاظ   مسهلـــــــة للخبث مـــن عكاظ

ومع أيمن (حلاة جلدان) دونه عبال بيض بين الحلاة وبين الوادي تدنو حتى تقرب من مقابلة وادي شرب ووادي الأخيضر وتتلاقى مع الحريرة التي تحدثنا عنهـــا انفا . وهذه التي يعبر عنها بالعبلاء حينا وبالعبيلاء حينا آخر وبها اليوم المشهور من حروب الفجار يوم العبيلاء . وفي ذلك اليوم يقول حداش بن زهير من هوازن .

الـــــم يبلغكـــم انـــــا جــدعنــــــا   لــــدى العبـــلاء خنــدف بالقيـــاد

ضربنــــــاهم ببطن عكـــــــاظ حتـــى   تـــولـــوا طـــالعين مـــن النجـــاد

والحريرة التي تلي العبلاء هي التي عناها شاعر هوازن أيضا حيث قال :

الطاعنين نحـــــور الخيل مقبلـــــة   من كــل سمراء لم تغـــلب ومغلوب

وقـــد بلـــوتم فأبلاكـــم بــــــلاؤهم   يـــوم الحريرة ضربا غير مكذوب

ودوين العبلاء والحريرة وعلى مقربة من ملتقى شرب والأخيضر دون ذلــك يساره هنالك مجموعة من الحجارة منصوبة هنا وهنالك كالأناس الوقوف على حافة الوادي بينه وبين الحريرة هذه يقال لها في هذا العهد (المرزز) أما قديما فقد ذكرها أكثر من واحد وذكروا أنهم يعظمونها ويطوفون حولها . قال عرام بن الأصبغ السلمي : (وعكاظ صحراء مستوية ليس فيها جبل ولا علم الا ما كان من الانصاب التي كـــانت في الجاهلية وبها الدماء من دماء الابل كالارحاء العظام) وانك لتشاهد هذه الانصاب وأنت في مكانك من هذا الجبل ثم تدني بصرك قريبا قريبا فتشاهد من جبلك هذا تحته هضيبة صغيرة تدعى في العرف (نصلة) او (رخيمة) تسمى (الشظفاء) أدنى مـــا

يكون لجبلنا الذي نقتعد رأسه جنوبيه وحولها قبور وأنصاب منها بنية مرتفعة على قبر يقال له قبر أحمد صاحب المبعوث يعظم قديما عند أهل هذه الناحية . وهذه الرخيمة (الشظفاء) لم أجد أحدا تعرض لها او ذكرها رغم انها ملاصقة لمكان عكاظ وعلامة بارزة من موضعه ولعلها ما يسمى قديما (بشمطة) مجهولة المكان الان . .

ومن الجنوب لنتحول معا الى الجنوب الغربي لنستقصي أعلام تلك الجهة ونأخذ في دراسة دائرتنا العكاظية من على ظهر هذا الجبل جاعلينه نقطة ارتكاز لجولتنا هذه . . سنمد بصرنا هذه المرة بعيدا فيما دوين (الحوية) وسيكون آخر جبل تقع عليه العين من منطقتنا في هذا الاتجاه هو جبل (القنة) مجموعة الجبال المشرفة على (الحوية) من الناحية الشمالية الشرقية وفوق هذه الجبال من الناحية الشمالية الغربية هضيبة منفردة لاطئة اسمها (مثملة) يقابلها من الشمال جبيلات صغيرة متقاودة تسمى (التيوس) وينحدر من تلقاء هضيبة (مثملة) مسيل يجاريه من الناحية الجنوبية الغربية مسيل آخر يقبل من غربي (الحوية) من تلقاء جبيل هناك يقال له (القميع) جبيل أحمر منفرد يمر به طريق السيارات الاول الآتي عن طريق السيل . . هذان المسيلان مسيل (مثملة) ومسيل (القميع) يلتقيان قريبا من الطريق طريقنا الذي نتحدث عنه ويسميان حينئذ (الريكة الجنوبية) ومسيل (الريكة) هذه وما بين (القنة) و (المطار) يسمى (الربوة) وهي منطقة تختص بالاشراف الشنابرة وفي طرفها من الشرق مما يلي الوادي سلسلة جبال متقاودة تمتد من الشمال الى الجنوب يقال لها : (جبال الصالح) وطرفها من الجنوب يقال له (جبل العقرب) وهو لابن عثمان من عدوان عنده (قرية العقرب) بها نخيلات وعين جارية . . وجبال الصالح هذه تشرف على وادي (شرب) ويقول الاستاذ حمد الجاسر : (دخم : الجبل الذي لجأت اليه بنو كنانة يوم شمطة . لا يبعد ان يكون هو الجبل المسمى في عهدنا (بالصالح) بقرب قرية العقرب لعدوان . ويسمونه الصالح لاعتقادهم بأن رجلا صالحا قبر فيه . وهم يعظمون ذلك الجبل في العهد الماضي ويقع غرب موقع عكاظ بمسافة قصيرة) . انتهى كلام الاستاذ حمد . وشمال (جبال الصالح) (جبال مدسوس) على سمتها . وبقربها غربيها قرية العواجية بجبال شرب من الغرب . وشمال (الربوة) وجبال مدسوس والمطار والريكة الجنوبية شمال ذلك سلسلة جبيلات سود متقاودة تقبل من ناحية الغرب لناحية الشرق كأنها سناف . هذه يقال لها (القروى) وفي طرفها الشرقي مما يحفه طريقنا هذا يساره جبيل مستدير أعلاه قلعة تسمى (العرفاء) وحولها جبيلات تسمى باسمها وتحتها قرية تسمى باسمها أيضا لذوي جود الله الاشراف وشرقيها قرية (الأعاضيد) وشمالي جبيلات القروى جبيلات متقاربة تسمى جبيلات (رميح) وكذلك شمالي العرفا جبيلات اخرى تدعى جبيلات

(الخزاز) . وشمالي جبيلات رميح هضبة طويلة في رأسها قلعة هذه هي (هضبة الجودية) تراها وأنت على الطريق غربيك وخلفها شماليها جبيلات سود يقال لها (الوشح) . وشمالي سلسلة جبال القروى واد يقال له (الريكة الشمالية) يقبل من ناحية الجنوب جاعلا الربوة وما بها من مسميات يمينه كما ان الريكة الجنوبية تجعلها يسارها وتحت العرفا من الشرق تجتمع الريكتان ويشكلان واديا واحدا اسمه (المهيد)تصغير مهد . ويلب بوادي المهيد من الشمال شعب يقبل من الناحية الغربية أيضا يسمى شعب (أم السلم) وشمالي شعب أم السلم حزيمات سود متقاربات يطؤها الطريق يقال لها (الأمهاد) يليها جنوبا حزيمات صغار حمر يقال لها (الظفير) .

ومن ذلك نكون قد أتينا على جبلنا الذي نحن على قمته مستوفين الأعلام الواقعة غربيه جنوبيه مما تقع عليه العين من رأس هذا الجبل او يمكن ان تقع عليه العين .

ولنتحول اذن عن ناحية الجنوب الغربي الى ناحية الشمال الغربي بالنسبة لجبلنا هذا . لتمتد أمامناأرض سهلة منبسطة قليلة الاعلام تسمى (الفشحة) تذهبمغربة حتى يكاد يقصر الطرف دون مداها وهنالك تقوم عبال وحزون هي الحد الفاصل بين (الفشحة) وبين (وادي قران) فما سال مشرقا منها يسيل في الفشحة وما سال مشملا او مغربا يسيل في قران وهو واد جيد يسيل به ما حاذى المناقب ـــ الريعان ـــ حتى السيل الصغير وما تعلق عليه من الجبال والحزون والعبال . ولقد عهدت أعلاه خميلة ملتفة يتكاثر بها شجر السلم والثمام وكثير من العظاة . . قنصنا الأرانب في هذه الخميلة وما أكثرها وما أوفرها آنذاك حامل البندقية ينطرح في منخفض وسطهذه الخميلة ويذهب زملاؤه منه على مسافة ميل تقريبا يستطيلون الوادي ويأخذون مقبلين في رهج وأصوات عالية لتنساب الأرانب من مرابضها وتأخذ في الوادي وليكون حامل البندقية متنبها لما يمر به ولم نلبث حتى نسمع صوت البندقية متواليا ولم تمض هذه الفترة من احتواش الأرانب حتى يكون قتل منها عدد ليس باليسير . . يجتمع سيل هذا الوادي فينصب في وادي العقيق فوق ماءة عشيرة .

ولنتحول بعدئذ بأنظارنا من فوق جبلنا هذا الى ناحية الشمال لتمتد أيضا أمامنا منطقة سهلة هي جزء من (الفشحة) بل هي طرف (ركبة) الغربي وليكون أول علم ندركه جبل أسود متربع على طرف الحرة حرة بني سليم مما يلي العشيرة هذا الجبل هو جبل (بس) يبعد عن مكاننا هذا مسافة يوم للابل . يذكر العباس بن مرداس السلمي جبل بس يوم حنين يقول :

هزمنا الجمع جمع بني قسي … وحكت بركها ببني رئاب

يكضنا الخيل فيهم بين بس — الى الأورال تنحط بالنهاب
بذي لجب رسول الله فيهم — كتيبته تعرض للضراب

ويقول الشاعر العاهان :

بنون وهجمة كأشاء بس — صفايا كثة الأوبار كوم

وقال شاعر من بني سعد بن بكر :

أبت صحف الغروب أنتقرب اللوى — واجراع بس وهي عم خصيبها
أرى ابلي بعد اشتمات ورتعة — ترجع سجعا آخر الليل نيبها
وان تهبطي من أرض نصر لغائط — له بهرة بيضاء ربا قليبها
وان تسمعي صوت المكاكي بالضحى — بغيناء من نجد يساميك طيبها

وقال الحصين بن الحمام المري :

فان دياركم بجنوب بس — الى ثقف الى ذات العظوم

ذكر في كتاب « بلاد العرب » ان لبني نصر من الجبال الجمد وبس وأورد الأبيات البائية المتقدمة .

وكما قلنا ان (بسا) متربع على طرف حرة بني سليم الجنوبي مما يلي عشيرة وهذه الحرة من أعظم الحرار وأكبرها في جزيرة العرب حددها الاستاذ حمد الجاسر فقال : (. . وحرة بني سليم هي الحرة العظيمة الممتدة من ذات عرق جنوبا الى قرب المدينة ، وشرقا من طرف ركبة الشمالي الغربي والعقيق حتى رهاط غربا . ويمتد منها ألسنة طويلة تتصل قريبا من البحر وأحد أطرافها ثنية هرشا) . انتهى كلام الاستاذ حمد .

ويستطيل جنوبي الحرة وادي العقيق يقبل مما يلي المناقب الريعان ووادي قران وشعاب الحرة الجنوبية وأم الخروع وغيرها ويذهب مشرقا يلب للحرة وفيه الطلوح العظيمة والسيال والسدر والعشر ، فيمر ببلدة عشيرة وبمنهل المحدثة ومنهل تنضبة ويفترع الحرة بعدئذ مشملا فمغربا يقول ابن بليهد عن هذا العقيق : (في بطن ذلك الوادي اذا اتجه شمالا عيون وآبار كثيرة عذبة وهي بالقرب من المدينة وسيل ذلك الوادي يصب في وادي الحمضى ، ويصبان معا في البحر هذا هو

الذي بلغني عن الثقات) انتهى كلام ابن بليهد . وهذا العقيق هو الذي عناه أبو وجزة السعدي بقولـــه :

يـــا صاحبي انظرا هـــل تؤنسان لنا بين العقيق وأوطـــاس بأحـــــداج ؟

وهو الذي عناه الشافعي ــ رحمه الله ــ حينما قال : (لو أهلوا من العقيق كـــان أحب الـــــي) .

والأعقة في بلاد العرب كثيرة أشهرها عقيق المدينة وعقيق اليمامة وقد أكثـــــر الشعراء من ذكر العقيق وتغنوا به قال أعرابي :

أيا نخلتـــي بطن العقيق أمـــانعـــي جنى النخل والتين انتظـــاري جناكما

لقد خفت ان لا تنفعانـــــي بطائـــل وان تمنعانـــي مجتنى مـــا سواكما

لـــو أن أمير المؤمنين علـــى الغنـــى يحدث عـــن ظليكما لاصطفاكمـــا

وقالت أعرابيـــة :

اذا الريح مـــن نحو العقيق تنسمت تجدد لـــي شوق يضاعف من وجدي

اذا رحلـــوا بـــي نحو نجد وأهلـــــه فحسبي مـــن الدنيا رجوعي الى نجد

وهناك ذو العشيرة من أودية عقيق المدينة بقربها وفيه يقول عروة بن أذينة :

يا ذا العشيرة قد هجت الغداة لنـــا شوقـــا وذكرتنـــا أيـــامـــك الأولا

مـــا كان أحسن فيك العيش مؤتنقا غضا وأطيب في آصالـــك الاصـــــلا

وبوادي العقيق وعشيرة وحرة بني سليم نكون قد أكملنا من على ظهر جبلنا هذا ــ الخلص ــ دائرة متكاملة حول عكاظ بدأناها بركبة وانتهينا بها أتينا علـــى الأعلام التي نراها او يمكن أن نراها من قمة هذا الجبل بعضها تكون مسافته عـــن جبلنا هذا أكثر من مسيرة يوم للابل . .

وحيث قد وصفنا هذه المنطقة وصفا مستفيضا يمكن من خلاله أن نحدد موقع عكاظ تحديدا دقيقا . . فلا بد أن نورد شيئا من أقوال علماء المنازل والديار في تحديد موقع عكاظ مما أصاب شاكلة القول وحدد تحديدا صائبا تكمل الفائدة بايراده وتطيب النفس بذكره ، ويأنس به من يريد الدقة في التحديد . .

قال الأصمعي : (عكاظ نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكـــة

ثلاث ليال ، وبه كانت تقوم سوق العرب بموضع يقال له الأثيداء ، وبه كانت أيام الفجار وكانت هناك صخور يطوفون بها ويحجون اليها) أ هـ .

وقال الأزرقي : (وعكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة ، على طريق صنعاء في عمل الطائف على بريد منها وهي سوق لقيس عيلان وثقيف وأرضها لنصر) أ هـ .

وقال الهمداني : (عكاظ بمعكد هوازن وهو سوق العرب القديمة وهو لبني هلال اليوم . . . قران وشرب مكانان من أرض عكاظ وهذه المواضع من الجرداء ويضرب على مشرق هذه المواضع جبل الحضن من المحجة على يوم وكسر ثم ضرب الناس من قران وشرب ذات اليسار فعلوا رأس السراة وهو المناقب وانحدروا فيها) أ هـ .

وقال أبو عبيد البكري : (عكاظ بضم أوله وفتح ثانيه وبالظاء المعجمة صحراء مستوية لا علم فيها ولا جبل الا ما كان من الانصاب التي كانت بها في الجاهلية وبها دماء الابل كالأرحاء العظام ، وكانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا لمكة في الجاهلية ، وعكاظ على دعوة من ماءة يقال لها نقعاء ، بئر لا تنكف ، واتخذت سوقا بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، وتركت عام خروج الحرورية مع المختار بن عوف سنة ١٢٩ الى هلم جرا . . ويتصل بعكاظ بلد تسمى ركبة وبها عين تسمى خليص للعمريين وخليص رجل نسبت اليه ، وذكر أبو عبيدة انه كان بعكاظ أربعة أيام يوم شمطة ، ويوم العبلاء ويوم شرب ويوم الحريرة وهي كلها من عكاظ فشمطة من عكاظ وهو الموضع الذي نزلت به قريش وحلفاؤها من بني كنانة بعد يوم نخلة وهو أول يوم اقتتلوا به في أيام الفجار على ما تواعدت عليه مع هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم ، فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ولم يقتل من قريش أحد يذكر ، واعتزلت بكر بن مناة بن كنانة الى جبل يقال له دخم فلم يقتل منهم أحد . وقال خداش بن زهير :

فأبلغ ان مررت به هشاما — وعبد الله أبلغ والوليدا

بأنا يوم شمطة قد أقمنا — عمود المجد أن له عمودا

ثم التقى الأحياء المذكورة على رأس الحول من يوم شمطة بالعبلاء الى جنب عكاظ فكان لهوازن أيضا على قريش وكنانة . وقال خداش بن زهير :

ألم يبلغكم أنا جدعنا — لدى العبلاء خندف بالقياد ؟

ضربناهم ببطن عكاظ حتى — تولوا طالعين من النجاد

فهو يوم عبلاء ، ثم التقوا على رأس الحول وهو اليوم الرابع من يوم نخلة بشرب ، وشرب من عكاظ ولم يكن بينهم يوم أعظم منه ، فحافظت قريش وكنانة ، وقد كان تقدم لهوازن عليهم يومان ، وقيد أبو سفيان وحرب ابنا أمية وأبو سفيان ابن حرب أنفسهم وقالوا لا يبرح رجل منا مكانه حتى نموت أو نظهر فسموا العنابسة وجعل بلعاء بن قيس يرتجز :

ان عكاظا ماؤنا فخلوه　　وذو المجاز بعد لن تحلوه

فانهزمت هوازن وقيس كلها الا بني نصر فانها صبرت مع ثقيف ، وذلك ان عكاظا بلدهم ولهم فيه نخل وأموال ، فلم يغنوا شيئا ثم انهزموا ، وقتلت هوازن يومئذ قتلا ذريعا . قال أمية بن الأسكر الكناني :

ألا سائل هوازن يوم لاقوا　　فوارس من كنانة معلمينا

لدى شرب وقد جاشوا وجشنا　　فأوعب في النفير بنو أبينا

ثم التقوا على رأس الحول بالحريرة ، وهي حرة الى جنب عكاظ مما يلي مهب جنوبها ، فكان لهوازن على قريش وكنانة وهو يوم الحرة . وقال ياقوت : (العبلاء اسم لصخرة بيضاء الى جانب عكاظ) أ هـ. وقال ابن بليهد : (ومن كل ذلك ثبت عندي ان موضعه — عكاظ — يبعد عن مطار الحوية مسافة عشرة كيلومترات تقريبا من الجهة الشرقية منه . وعن الطائف مقدار أربعين كيلو ، وذلك عند المكان الذي يلتقي فيه الواديان وادي شرب ووادي الأخيضر شرقيه ماء يقال له المبعوث عند الحرة السوداء وجنوبيه أكمة بيضاء يقال لها وادي شرب ووادي قران المعروفين بهذين الاسمين الى هذا العهد) أ هـ. وقال أيضا : (فأما التحديد الصحيح الذي هو صادر عن معرفة ويقين فهو الذي ذكرته في أول هذه العبارة فمن أراد ان يقف برجله ويرى الآثار الدارسة والأطلال البالية فليذهب الى هناك كما ذهبت اليها ورأيتها بعيني ووقفت على حقيقتها فانا لم أذكر تحديد هذه السوق الا مستندا الى أسانيد صحيحة) أ هـ وقال الاستاذ حمد الجاسر في خلاصة بحث له مطول عن عكاظ :

(. . ان جميع الأوصاف المتقدمة ، تنطبق انطباقا تاما على الارض الواسعة الواقعة شرق الطائف — بميل نحو الشمال — خارج سلسلة الجبال المطيفة به وتبعد تلك الارض عن الطائف مسافة ٣٥ (كيلومترا) تقريبا ، ويحدها غربا جبال بلاد عدوان (العقرب — شرب — العبيلاء) وجنوبا ابرق العبيلاء ، وضلع الخلص ، وشرقا صحراء ركبة ، وشمالا طرف ركبة والجبال . . . الواقعة شرق وادي قران . وتشمل هذه الارض وادي الأخيضر (وهو المعروف في العهد القديم باسم وادي عكاظ) ووادي

شرب حينما يفيضان في الصحراء ويخرجان من الجبال ، وما بينهما من الارض وما اتصل بهما من طرف ركبة) انتهى .

رأينا من مجموع هذه الأقوال المتقدمة التي هي خلاصة لما قيل في تحديد موقع عكاظ قديما وحديثا . ومن دراستي للمنطقة دراسة دقيقة أقف بقدمي وأرى بعيني وأستعين بخبير ثبت من سكان المنطقة اختاره لي سعادة الشهم المفضال عبد العزيز بن فهد بن معمر أمير الطائف سابقا ، حيث قضيت سحابة يوم كامل هنالك أستعرض أقوال العلماء واطبقها على واقع الارض واحاول تضييق دائرة التحديد . . حتى خرجت بما يلي :

في متسع من الارض يحده من الجنوب ملتقى وادي شرب بوادي العرج الأخيضر والعبيلاء ، ومن الغرب جبال الصالح وجبال مدسوس ومدفع وادي المهيد ، ومن الشمال الشظفا والخلص ومشرفة وماءة المبعوث ومن الشرق الدار السوداء والحرة . . فيما بين هذه الاعلام يقع سوق عكاظ وهي تشكل شكلا مستطيلا لا يتجاوز طوله من الجنوب الى الشمال أربعة أكيال ، ومن الغرب الى الشرق كيلين وهذا التحديد يدخل الانصاب الحجارة المنصوبة والتي تدعى الان (بالمرزز) كما ان هذه المنطقة هي مدفع ثلاثة الاودية العرج وشرب والمهيد . .

وهذا التحديد لا يخرج تقريبا عما حدده الاستاذان ابن بليهد والجاسر الا انه أضيق دائرة مما حدداه . .

سكان منطقة عكاظ وما حولها الان :

يسكن هذه المنطقة أخلاط من قبائل شتى يسكنها الاشراف ذوو جود الله والشنابرة وعدوان والنفعة والجثمة والعصمة وقريش . . ونورد هنا نبذة للاستاذ حمد الجاسر عن سكان هذه المنطقة قال : (أشار المتقدمون الى ان هذه الجهات منازل هوازن ، ثم صارت لبني هلال ، والظاهر ان بني هلال حلوها وقت انتشارهم وقوتهم في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ثم لما هاجروا بعد ذلك الى مصر ثم الى بلاد المغرب عاد سكانها القدماء اليها ولا يزالون بها فمن سكانها :

١ ـ **الجثمة** : واحدهم جثاميوقد يقال : جشامي ، بتخفيف الشين حتى تقرب من الثاء ، والجثمة بالشين لتقارب الحرفين في بعض صفات النطق ، وهم بنو جشم بن بكر بن معاوية بن هوازن اخوة بني نصر ، وقبيلة دريد بن الصمة ، وتسكن هذه القبيلة في وادي قران ووادي العقيق وفي السيل الصغير .

٢ ـ **عدوان** : القبيلة القديمة التي منها حكيم العرب عامر بن الضرب ، وذو

الاصبع الشاعر وغيرهما . وتسكن في قرية (العقرب) وهي على ضفة وادي الأخيضر في أعلاه وفيها نخل وزرع ، وفيها عين أوشكت ان تغور وفي قرية (الخضيراء) الواقعة على ربوة شرب الغربية بقرب (المطار) وفي قرية (العبيلاء) .

٣ ــ **العصمة** : وهم حلفاء لبني جشم منذ العهد الجاهلي كما في كتب النسب . ويسكنون أسفل وادي لية في وادي يسمى باسمهم .

٤ ــ **ثقيف** : كانت قبيلة ثقيف تجاور هوازن ، في أسفل أودية الطائف (لية ــ العرج ــ شرب) ولكنها ارتفعت الى أعلى تلك الأودية ولا تزال فيها الى هذا العهد) . انتهى كلام الاستاذ حمد .

ما هو عكاظ ؟؟ : أعظم معرض في جزيرة العرب للتجارة والصناعة والفن ، وأعظم مؤتمر للراي والسياسة والاجتماع ، وأعظم منتدى للشعر والخطابة والبلاغة.. لم تبلغ المعارض الدولية اليوم على ما بها من تنسيق وتنظيم وابتكار . . ما بلغه سوق عكاظ من حيث كثرة الرواد وتعدد الأهداف واستيعاب القبائل وحرارة اللقاء . . يلتقي فيه اليمني والعراقي والعماني والشامي بالنجدي والحجازي والهجري . . وتؤمه تجارة الفرس والاحباش وغيرهما من الامم فتجد لطيمة كسرى مجالا تنفق فيه هنالك كما تعرض به بضائع العراق وهجر وبصرى وعدن وبلاد الشام . . البرود والأدم وأنواع الطيب والسلاح والحرير والحذاء والزيوت والزبيب والسيوف والرماح والحلل والخيل الاصيلة ونجائب الابل . . وغير ذلك مما تعددت أجناسه وتنوعت أشكاله . . تقبل القوافل اليه محملة بأجمل ما تنتجه الجهة المقبلة منها ان تجارة او صناعة او زراعة . . وتعود محملة بما لا يوجد في جهتها بعد عرض وتسويق ومماكسة يضج بها عكاظ .

وتكون بين قبائل العرب وجيرانهم مصارمة ومنافرة وحروب وثارات . . وتقبل كل قبيلة تحمل مشكلتها وتهيء حجتها وتعد العدة لمقارعة الحجة بالحجة وكسر حدة الخصم . .

وتخرج قبيلة او زعيم على عادة من عادات العرب او سنة من سننهم فتسمع منتديات عكاظ ما أتته هذه القبيلة او هذا الزعيم . . فيكون الحكم عليها قاسيا وتحملها الامم المشتركة في عكاظ عار الدهر فتبوء به خزيا مخلدا . .

يضطلع بالحكم في هذا وذلك وما سواهما من مشاكل سياسية او اجتماعية حكماء اتفق العرب على تحكيمهم وجعلوا قولهم الفصل وحكمهم العدل . .

وتنصب المنابر لحكماء العرب او يقفون على جمالهم يخطبون ويعظون ويذكرون العرب بأيام الله وما هنالك من بعث وحساب ونشور ، وما فطرت عليه هذه العوالم العظيمة من أسرار ، وما دارت عليه من حكم فيها للمتعظ عظة وفيها لكل قلب سليم عبرة ومزدجر . . كان من بين أولئك حكيم العرب قس بن ساعدة الايادي وقف على جمل أورق وتضام الناس حوله وجعل يقول فيهم : (أيها الناس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ، وأنهار مجراة ، ان في السماء لخيرا ، وان في الارض لعبرا ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا فأقاموا ، ام تركوا فناموا ؟ يقسم قس بالله قسما لا اثم فيه : ان لله دينا هو أرضى لكم وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه ، انكم لتأتون من الامر منكرا :

في الذاهبين الاوليـ ... ن من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها ... تمضي الأكابر والأصاغر

أيقنت أني لامحا ... لة حيث صار القوم صائر

وكان من المجتمعين حوله غلام يسمع ويعي ما يقول . هذا الغلام هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعد أربعين سنة من هذا المشهد لوفد أياد قوم قس وقد جاؤوا يبايعون رسول الله على الاسلام : « كأني أنظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أروق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه » . فقال رجل من القوم أنا أحفظه يا رسول الله . فتلاه عليه فلما انتهى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله قسا اني لأرجو ان يبعث يوم القيامة أمة وحده » .

ولم يكن العرب يحرصون على شيء أكثر مما يحرصون على البيان ولم يكن الفخر لديهم أعظم من ان يكون في القبيلة لسان يشيد شعره بمفاخرها ويتغنى بمآثرها وينشر ذكرها ويرفع قدرها . . وتقتعد عن طريق شعره قمة الفخر والسؤدد والمجد . . ذلك ان البلاغة واللسن صفتان مميزتان لهذه الامة ذهبت الامم تنشد فخرها في مجالات شتى . . وركزت أمة العرب فخرها في لسانها فجاءت عن طريقه بالمعجزات ، وتركت من أسرار الضاد الآيات الباهرات . . تضرب قبة من أدم بهذا السوق يتربع بها نابغة بني ذبيان حكما أول لينتظم حوله عقد الشعراء من كافة القبائل ، يعرضون عليه حصاد عامهم ذلك مما هذبته القرائح وأبدعته الافكار . . فيصدرون عن حكم صيرف يصنف الشعر وينقده ويضعه حيث تكون منزلته . . ويزدحم شداة الشعر

ومريدوه حول قبته الحمراء يتبارون في عرض تجاربهم الشعرية ، وينتظرون القول لمن تصدر له التهنئة بالشاعرية المقبلة ، انطلاقا من قصيدته المعروضة ، ليتناقل أهل عكاظ الخبر فأن القبيلة الفلانية نبغ بها شاعر . . فتذهب هذه تقيم الولائم وتتبادل التهاني ، وتجعل من ابنها الفائز في عكاظ علما ترمقه الأبصار وتحضنه القلوب .

وتلتقي اللهجات العربية هنالك وتقوم سوق النقد ويعلق بشعر الشعراء وخطابة الخطباء وتبادل الاحاديث ما يعلق بها من دخيل ، جره صلة تجاره او علاقة من العلاقات او الجوار . او ما يعلق بها من استعمال دعا اليه التسامح او أقحمه الايغال في لهجة حوشية . . فيهذب سوق عكاظ ما هنا او هنالك ، ويرجع بلسان القوم الى أصالته وجزالته وسموه . . ولم يكن هذا المجمع العظيم ليفوت صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ، بل قصده يتخول الناس بالموعظة ويدعوهم الى ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويلقى زعيم كل قبيلة وذوي الشأن فيها بالتبشير والتحذير ، والوعد بشرف الدنيا وجزاء الآخرة . . فيلقى ما يلقى من عنت وصدود ، وتنكر لما أتى به ، فيحمل نفسه على الصبر ويروضها على الأناة ايمانا بتحقق ما وعده الله به وان لا يذهب نفسه عليهم حسرات . . وان من كانت هذه منزلته فلا بد أن يكون على مستوى المسؤولية اسوة باخوانه من الرسل الذين لاقوا ما لاقوا من ظلم قومهم وأعراضهم . . وانما يعزيه الله ويسليه بمثل هذه الآية : **(قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون ، فانهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ، حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) .**

وكما كان سوق عكاظ معرضا للتجارة ومؤتمرا للسياسة والرأي والاجتماع ومنتدى للأدب ومجمعا للغة . . وكلها خلال حميدة مفيدة . . فكذلك هو مبعث منافرة وزناد حرب ، تحفزها العادات الجاهلية ، وتثيرها العصبيات والانانيات لتلقح بحروب لا تخبو نارها ولا يهدأ أوارها . . كانت بعكاظ أيام الفجار ، وسميت بالفجار لانها وقعت في الاشهر الحرم التي يحترمها العرب ولا يقاتلون فيها هذه الحروب وقعت بين كنانة وقريش وبين هوازن على نحو ما تقدم في بحثنا هذا . . ولها أسباب وقصص يطول شرحها .

والى بعض ما أسلفنا أشار الشعر قال أبو ذؤيب الهذلي :

اذا بني القباب على عكاظ   وقام البيع واجتمع الألوف

وبين أمية بن خلف الخزاعي وحسان بن ثابت مهاجاة قال فيها أمية :

ألا من مبلغ حسان عني مغلغلة تدب الى عكاظ؟

أليس أبوك فينا كان قينا لدى القينات فسلا في الحفاظ

يمانيا يظل يشد كيرا وينفخ دائما لهب الشواظ

فأجابه حسان :

أتاني عن أمية زور قول وما هو بالمغيب بذي حفاظ

سأنشر ما حييت لهم كلاما ينشر بالمجامع من عكاظ

ومن الامثال السائرة في الشعر :

فانك ضحاك الى كل صاحب وانطق من قس غداة عكاظها

وقال المخبل مفتخرا :

ايالي سعد في عكاظ يسوقها له كل شرق من عكاظ ومغرب

وقال النابغة الذبياني :

وبنو جذيمة حي صدق سادة غلبوا على خبت الى تعشار

متكنفي جنبي عكاظ كليهما يدعو بها ولدانهم عرعار

كانت فرسان العرب تتقنع كلما حضرت عكاظ ، مخافة ان يعرفوا وكان طريف بن تميم العنبري من أبرز شجعان العرب لا يقتنع وكان عرفاء العرب يتوسمونه كلما مروا من حوله فقال :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا الي عريفهم يتوسم

فتوسموني ، انني أنا ذالكم شاكي سلاحي في الحوادث معلم

تحتى الأغر وفوق جلدي نثرة زغف ترد السيف وهو مثلم

حولي أسيد والهجيم ومازن واذا حللت فحول بيتي خضم

ولكل بكري لدى عداوة وأبو ربيعة شانىء ومحلم

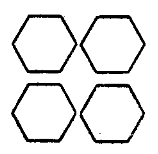
اما بداية هذه السوق فللعلماء بها اقوال كثيرة لا تخلو كلها من مقال الا ان المرجح انها بدأت في القرن الخامس الميلادي ويرى صاحب كتاب « أسواق العرب » الاستاذ سعيد الأفغاني انها قد عمرت أكثر من قرنين ونصف القرن . .

وقد ظلت هذه السوق مستمرة بعد ظهور الاسلام الى ظهور الخوارج الحرورية مع المختار بن عوف حيث نهبوها سنة ١٢٩ هـ. ومن ثم توقفت الى هذا العهد . .

وعكاظ التي شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صبي يستمع الى قس بن ساعدة وهو يخطب ، وشهدها وهو صبي أيضا يناول أعمامه السهام يوم الفجار ، وشهدها بعد مبعثه يعرض رسالته على قبائل العرب . . وأقرها بعد ان ظهر الاسلام وطبق أنحاء الارض واستمرت في عهود الاسلام الزاهرة . .

هذه السوق التي تخدم اقتصاد الامة وتنميه ، وتلتقي بها أفكار العرب وآراؤهم وتقوم بها سوق الشعر والأدب ويحافظ بها على كيان الضاد . .

هذه السوق جديرة بأن تحيا في مهد العرب ومهوى افئدتهم ومنطلق فخرهم ومجدهم وركيزة تاريخهم . . جديرة أن نحييها على نحو يتواءم وما نضطلع به من مسؤولية ، وما نحن سائرون فيه من منطلق تجاه امتنا ووطننا وتاريخنا . .



سوق عكاظ (*)

اهتمت الحضارات القديمة بالاسواق التجارية والسياسية والرياضية والأدبية ففي عصور الرومان واليونان والاغريق ظهرت تجمعات ذات صبغة أدبية واجتماعية وسياسية ورياضية مثل تجمع أولمبيا التي كان يقيم فيه الاغريق المباريات الرياضية وغيرها وكذا في روما القديمة قبل ميلاد المسيح عليه السلام ثم جاء دور العرب وأقاموا الاسواق التجارية والأدبية لتكون منتدى لجميع أنشطتهم الدنيوية وشمل أحقاب تاريخهم الطويل وخاصة العصر الجاهلي أمجاداً عظيمة من الأنشطة ذات القيمة الحضارية الراقية ومن هذه الاسواق (سوق عكاظ) أعظم أسواق العرب الذي أدى الى تنشيط التجارة والأدب والعلم والسياسة وتقوية اللغة والقاء الأشعار والخطب الطويلة الممتعة التي كان من روادها (قس بن ساعده) الأيادي وذو الاصبع العدواني والخنساء وكما كان لعكاظ الفضل الأكبر في حل مشاكل المجتمع في عصره وعقد عقود الزواج مثل حادثة المحلق الرجل الفقير كثير البنات الذي استضاف الشاعر الجاهلي أعشى قيس فمدح المحلق الرجل فأقبل القوم على التزوج من بناته وهذه القصة مثبتة في كتب الأدب . وعكاظ مؤتمر سنوي طور الأدب والاقتصاد والعادات والنسب وفيه يؤخذ الثأر وهذا السوق الاكبر لأهل الجزيرة العربية وأطرافها ولا زال أهل جنوب جزيرتنا يقيمون الاسواق للبيع في أيام الاسبوع وكانت تجتمع في عكاظ القبائل وتجلب اليه البضائع من قلب الجزيرة العربية والحجاز واليمن وعمان والشام والعراق وفارس وتتبادل فيه المنافع ويقوم السوق بوسائل الاعلام الان ولكن على المشافهة وتلقى فيه الحلول مثل مجلس الامن ومجلس الوصاية التابعين للمنظمة الدولية بل أكثر نشاطا لانه يتم فيه الصلح والبت بسرعة بين القبائل المتحاربة ويساعد الضعيف على القوي ووضع الحلول المناسبة . وأمجاد عكاظ كثيرة الجوانب وأنشطته مختلفة يعجز الوصف ان يلم بها فهو أعرق وأعظم أسواق العرب قاطبة ومن هذا أدركت الدولة السعودية السنية أهمية هذا السوق باعتباره من مآثر العرب ودور السعودية الطليعي في المنطقة وقامت به بادرة من سمو الأمير فيصل بن فهد الرئيس

---

* **بحث كتبه الاستاذ : مناحي ضاوي القثامي عضو النادي .**

العام لرعاية الشباب بالدعوة الى اقامة السوق ورصد المبالغ اللازمة له حتى تعود أمجاد عكاظ المرصعة بالبطولة لهدف تنشيط الحركة الأدبية والاهتمام بالنواحـــي الثقافية واقامة المسارح الفلكلورية والاهتمام بالتراث لان عكاظاً مكسب كبير يعود على بلادنا بفوائد جمة من أدبية وسياسية واقتصادية وعكاظ مناسبة ثقافية وسياحية تستهدف احياء الامجاد العظيمة وحبذا لو قامت شركات مختصة وباشراف جامعات المملكة بعمل حفريا تأثرية للتأكد من موقع السوق فعلا ومن ثم أقامت السوق رسميا وبصفة دائمة دورية في السنة . وعكاظ هدم سنة ١٢٩ هجرية عند ظهور الخوارج مع المختار بن عوف الذي ظهر بمكة المكرمة ونهبوا السوق واندثرت معالمه واهملت الاسواق لعدة أسباب منها سياسية وظهور مذاهب دينية متشددة وانقرضت هذه الاسواق وكان آخرها سوق حباشه سنة ١٩٧ هجرية .

ومع الحديث عن سوق عكاظ لا ننسى ولا شك السوق الثاني في الاهمية بعد عكاظ ألا وهو سوق (المربد) في البصرة الذي حل محل عكاظ في عصور الاسلام الاولى وكان له فضل كبير على العربية والذي امتاز عن عكاظ مع أنه امتداد له في حفظ اللغة العربية من التلوث والاعجمية وزاد عليها مفردات جديدة يفرضها العصر وتطويـــر الأدب العربي والمحافظة على السمات والميزات العربية وحفظ الشخصية العربية من خطر الامم الوافدة على الاسلام من رومان وفرس وغيرهم . وكان من رواد المربد الجاحظ والأصمعي وأبو العلا ءوالأخفش والفراهيدي وغيرهم مع فارق أن عكـــاظاً يمثل عصر البداوة والمربد يمثل عصر الحضارة وعدم البكاء على الاطلال والدمن . ثم جاء بعد المربد عصور انحطاط شملت أصقاع الوطن أيام الحملات المغولية والصليبية وعصور المماليك والأتراك حتى قام بدور هذه الاسواق في نشاط التجارة في عصـــر النهضة الحالية أسواق في القاهرة ودمشق وبغداد وطرابلس .



آراء العلماء في موقع سوق عكاظ

قال الحسن الاصفهاني في كتابه بلاد العرب ص ٣٢ عكاظ سوق وقيل ماء وهو بين الطائف ونخله وقال جار الله الزمخشري في كتابه المخطوط في مكتبة عارف حكمه بالمدينة المنورة تحت رقم ٣٧ من كتب اللغات والمسمى أسماء الجبال والبقاع والمياه والأمكنة : عكاظ سوق بين نخلة والطائف الى بلد يقال له الفتق وقال أبو علي المرزوقي في كتابه الأزمنة والأمكنة الجزء الثاني ص ١٦١ عكاظ بين نجد والطائف في أعلى نجد وكانت فيه منابر وقال ياقوت الحموي ص ٧٢ الجزء الرابع في كتابه المشهور معجم البلدان عكاظ بضم أوله سمي بذلك لان العرب تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضا بالفخار والخصام والحجج وهو اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية يجتمع العرب فيه من كل سنة ونقل عن الأصمعي قوله عكاظ نخل بني نصر في واد بينه وبين الطائف ليلة وبين مكة ثلاث ليالي بموضع يقال له الأثيداء وفيه صخور يطاف بها ويحج بهـــا ونقل عن الواقدي عكاظ بين نخلة والطائف في مكان يقال له الفتق . وقال أبو عبيدة البكري في كتابه معجم ما استعجم الجزء الثالث ص ٩٥٩ عكاظ صحراء مستوية لا علم بها ولا جبل الا ما كان من الأنصاب التي كانت في الجاهلية وعكاظ على دعوة من بئر ماء يقال لها نقعاء بئر لا تنكف ونقل عن محمد بن حبيب قوله عكاظ بأعلى نجد وراء قرن المنازل وأرضها لبني نصر واتخذت سوقا بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة وبينه وبين الطائف عشرة أميال ويتصل بعكاظ بلد تسمى (ركبه) وبها عين تسمى عين خليص .

وقال عرام بن الاصبغ السلمي في كتابه أسماء جبال مكة وتهامة وأشجارهـــا ووديانها عكاظ صحراء مستوية لا علم فيها .

أيـــام عكـــاظ وحروبـــه :

لعكاظ أيام مشهورة منها يوم شرب الان قرب الحويه من الناحية الجنوبيـــة الشرقية ويوم العبيلاء ويوم الحريره وقد جرت هذه الايام بين جشم من هوازن وبين قريش وكنانة وثقيف ومن المعروف ان بني نصر من جشم من هوازن هم أهل المنطقة فتجري بينهم وبين القبائل الاخرى الحروب وهذه الايام يوجد تفصيل لها في كتـــاب

الاستاذ سعيد الافغاني مؤلف أسواق العرب ولا يهمنا الان الا الشواهد من الشعر الحماسي الذي قيل فيها عن سوق عكاظ :

قال دريد بن الصمه شيخ قبيلة جشم (القثمة) :

تغيبت عـن يومـي عكاظ كليهمـا وان يـك يـوم ثالث أتغيـب

وقال أحد شعراء النصريين الذين صمدوا للدفاع عنه :

ان عكـاظـاً مـاؤنـا فخلـوه وذو المجـاز بعـد لـن تحلوه

وقال الشاعر خداش بن زهير الجشمي في حروب هوازن وثقيف :

الـم يبلغكمـو أنـا جـدعنا لـدى العبلاء خنـدف بالقياد

ضربناهـم ببطـن عكـاظ حتى تـولـوا طالعين مـن النجـاد

القبائل المستوطنة في عكاظ قديما وحديثا :

تسكن عكاظ قديما قبيلة نصر من بني جشم من هوازن كما ورد في المؤلفات القديمة والشواهد الشعرية في أيام سوق عكاظ الحربية الآنفة الذكر وقد نقل الينا مؤلف بلاد العرب الأصفهاني ص ٣٠ ان عكاظاً لبني نصر من جشم وذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب ان عكاظاً من ديار نصر بن معاوية بن بكر بن قيس عيلان من جشم من هوازن ولهم فيه نخل ويعرفون الان بالقثمة قبيلة كاتب هذه السطور ولا تزال هذه القبيلة تسكن هذه الناحية ولهم بئر المبعوث التي توجد فيه السوق ووادي قران الذي ورد في أرجوزة الرداعي الذي سجل فيها أسماء الآمكنة الذي مر بها من صنعاء الى مكة المكرمة وكان لمالك بن عوف الجشمي السيطرة على السوق قبل الاسلام وفي أوله ويسكن قرب عكاظ الان قبائل مثل قريش وذوي جود الله من الاشراف وبني عدوان قبيلة ذو الاصبع من خطباء عكاظ .

آراء متأخري الكتاب الان في موقع سوق عكاظ :

تناول متأخرو الكتاب السوق بالكتابة منهم على سبيل المثال الاستاذ عبد القدوس الآنصاري في جريدة عكاظ الصادرة في ١٣٨٥/٢/٢٥هـ. وهو يميل في هذا المقال الى تحقيق الشيخ المرحوم محمد بن بليهد على أنها البراح الفسيح الذي يبعد عن مطار الحوية مسافة عشرة كيلومترات عند التقاء وادي شرب بوادي الأخيضر شرقيه ماء يقال له المبعوث عند الحرة السوداء وجنوبه أكمة بيضاء يقال لها العبيلاء

من العهد الجاهلي الى هذا العهد وشماليه هو الفاصل بين وادي شرب ووادي قران .

وكذلك تحدث عن عكاظ الشيخ المرحوم محمد بن بليهد في كتابه صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من آثار المجلد الثاني ونشر بحث بهذا الصدد في مجلة المنهل العدد الممتاز الصادر في شهر ذو الحجة عام ١٣٦٩هـ. ص ٣٢٦ ــ ٣٣٤ ويؤكد فيه على ما ذكره الشيخ الانصاري سابقا وذكر أرجوزة الشاعر اليماني في وصف الأماكن التي مر بها من صنعاء الى مكة منها :

حتى اذا استهلن من كلاخ	وأوقح ذي الحمض والسباخ
وأسهلت في البطن من عكاظ	وسيرها في زاجر كظاظ
وصلت قران ذي المناقب	وشربا في جنح الليل واقب

وقران قرب السيل الصغير وادي شمال مطار الطائف من ديار قبيلة القثمة الذين يعرفون سابقا بالجشم قبيلة دريد بن الصمه الشاعر الجاهلي المعمر وهو من هوازن كما كتب عن عكاظ محمد حسين هيكل في منزل الوحي وشكيب ارسلان وعبد الله فلبي وسعيد الافغاني في أسواق العرب وعبد العزيز المزروع في قصص عكاظ .

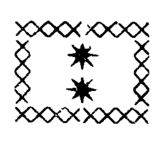
والاستاذ العلامة حمد الجاسر الذي اشترك مع معالي الدكتور عبد الوهاب عزام وابن بليهد في تأليف كتاب عن السوق باسم « موقع سوق عكاظ » وهو رسالة صغيرة وقد طبع في القاهرة .

كذلك كتب عنه الاستاذ عبد الله بن خميس في كتابه المجاز بين اليمامة والحجاز وأحيا اسمه الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار باصدار جريدة عكاظ التي تحولت الان الى مؤسسة عكاظ الصحفية وكتب عنه الدكتور ناصر بن سعد الرويشد حلقات نشرت في جريدة عكاظ عام ١٣٩٥هـ. وكتب عنه صاحب جزيرة العرب فؤاد حمزه ص ٢٦٥ قائلا ان عكاظ عند ملتقى أودية الطائف في ركبة مسافة ثلاثون كيلومترا من الطائف وهذا خطأ في المسافة حيث ان الثابت أربعون كيلومترا وليس ثلاثون كيلومترا كما قست المسافة أنا بنفسي من الطائف الى السوق .

خلاصة الآراء والاستنتاج منها :

اتفقت آراء الرداعي في أرجوزته المثبتة في صفة جزيرة العرب مع عرام بن الاصبغ السلمي في كتابه (جبال تهامة والحجاز) وأيضا ياقوت الحموي في كتابه معجم

البلدان والبكري في معجم ما استعجم والمرزوقي في الازمنة والامكنة ومحمد حبيب في المحبر والزمخشري في أسماء الجبال والبقاع والمياه وهؤلاء من القدماء ، أما المحدثون فقد اتفق المرحوم الشيخ محمد بن بليهد والانصاري وابن خميس وعزام والجاسر وخلاصة هذه الآراء من هؤلاء العلماء الأجلاء سواء كانوا قدامى او محدثين ان سوق عكاظ هو في ذلك المكان الذي يلتقي فيه وادي شرب ووادي الأخيضر عند ملتقى ماء المبعوث على يمين الذاهب الى الرياض عبر الطريق المسفلت بمسافة أربعين كيلومترا من الطائف شرقا عند الآثار الموجودة الان هناك وجنوب غرب منه (حرة الخلص) ومنه أكمة العبلاء اسمها القديم أما الان فان اسمها العبيلاء بزيادة ياء بعد الباء وهي معروفة بهذا الاسم منذ القدم ووادي قران شمال غرب منه لا كما قال الشيخ المرحوم ابن بليهيد انه شمال عكاظ ويسير وادي شرب والأخيضر بمحاذاة واحدة من جبال الطائف الاول يسارا والثاني يمينا بالنسبة للذي يسير متجها الى الرياض عبر الطريق الرئيسي ويوجد جنوب الحريره أرجح أنها تعرف الان بالعرفاء وبها بعض الآثار القديمة وكان بها يوم من أيام العرب بين هوازن وقريش .



حديث عن سوق عكاظ

في الاشارة السامية ، التي وردت في حديث جلالة الملك فيصل المعظم بالمؤتمر الصحفي الكبير الذي عقده جلالته في مدينة جدة ما يشير الى اهتمامات جلالته باحياء هذه السوق ، وبعث ما اندثر من أمجادها الأدبية بعد نحو الف وثلاثمائة عام . . فقد أشار جلالته الى ان موضوعها يعود للادباء . . فهم بها حفيون . . ان شاء الله واذا وضعوا منهج حياتها على نحو مقبول فالدولة كفيلة بمؤازرة المشروع الأدبي الكبير . . بما يضمن له النجاح المنشود .

ولعكاظ حديث طويل لماض في كتب التاريخ والأدب،انها في التاريخ العربي كنار على علم ، فقد كانت المعرض العربي العام لشؤون الأدب والتجارة والحرب والسياسة والمجتمع والاقتصاد . . في أيام الجاهلية الأخيرة كما يقول مؤلف « أسواق العرب » .

ونحن في هذه العجالة نورد ما دونه هذا المؤلف النفيس الجامع لسعيد الأفغاني في طبعته الثانية عن سوق عكاظ . وسنعلق على ما نرى التعليق عليه قاصدين من وراء ذلك اشاعة المعرفة عن ماضي هذه السوق العظيمة او هذه المدينة المتنقلة العظيمة . . التي كانت قد تمكنت من هضم جميع ألوان حياة الجاهلية بما فيها من متناقضات ومتآلفات وطفرات ونزوات وتفاخر وتكاثر ، وتعقل وحكمة واتزان ، وفصاحة وبيان . .

يقول المؤلف : (ان عكاظا مجمع أدبي لغوي رسمي ، له محكمون تضرب عليهم القباب فيعرض شعراء كل قبيلة عليهم شعرهم وأدبهم فما استجادوه فهو الجيد ، وما استهجنوه فهو الزائف . وحول هذه القباب الرواة والشعراء من عامة الاقطار العربية) .

ومعنى هذا ان عكاظا كانت بمثابة العاصمة المختارة لشئون الأدب ـ وترقية مستواه لدى العرب ، حكمها الادبي في النقد والتقدير نافذ ومطاع باتفاق الجميع

---

* نشر في جريدة عكاظ بتاريخ ٨٥/٢/٢٥هـ للاستاذ عبد القدوس الانصاري

وعن طيبة خاطرهم . . وحكامها لهم سطوة وهيبة وتقدير ونفوذ لا يضاهي في نفوس جميع العرب في حجازهم ونجدهم ويمنهم وتهامتهم وعراقهم وعمانهم . وهي بهـذه الصورة تعطينا فكرة ان العرب تمكنوا في جاهليتهم من ارساء قاعدة ثابتة لتجمعهم واتحادهم تحت راية الادب جرى الاتحاد في كل زمان ومكان وفي ظلال سوقهم العامـة الكبـــرى : عكـــاظ . .

ثم يقول : « وهي السوق التجارية الكبرى لعامة أهل الجزيرة . يحمل اليها من كل بلد تجارته وصناعته كما يحمل اليها أدبه . فاليها يجلب الخمر من هجر والعراق وغزة وبصرى والسمن من البوادي . ويرد اليها من اليمن البرود الموشاة والأدم ، وفيها الغالية وأنواع الطيب وأدوات السلاح ويباع فيها الحرير والوكاء والحـذاء والمسير والعدني يحملها اليها التجار من معادنها وفيها من زيوت الشام وزبيبها وسلاحها اعتادت قريش ان تحمله في قفولها الى مكة . . وكانت تجارة فارس يصل منها أشياء الى عكاظ ، فان النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث الى سوق عكاظ كل عـام لطيمة (العير المحملة بمسك وغيره) في جوار رجل شريف من أشراف العرب يحميها له من كل معتد حتى تصل سالمة الى عكاظ فتباع ويشترى بثمنها ما يحتاج اليه مـن أدم (جلود) الطائف وسائر المتاع في عكاظ . من حرير وعصب مسير ، وبيعت فيهـا حلة ذي يزن فاشتراها حكيم بن حزام ليهديها لرسول الله (ص) .

وتعليقنا على هذا الحديث الطريف عن عكاظ التجارية . . انه يدلنا على ان فكرة اقامة المعارض التجارية كان العرب من أول الشعوب التي أخذت بها لما عرفت من مزاياها في التبادل التجاري بين الامم . . هذا من جهة . . ومن جهة اخرى فان عكاظ بشمولية ما يعرض فيها تمكنت من تعريف العرب حاضرة وبادية بما ينتجه بعضهم فيأخذون جيده ويتركون بايره ، كما ربطت بعجلتها التجارة العالمية اذ ذاك الى قلب بلاد العرب فكانت فارس أعظم دولة عالمية يومذاك ترد اليها كل عام . . وفي هذا دليل على عظمة عكاظ التجارية وانها سوق عالمية نافقة . . ينفق فيها كل شيء جيد من البضائع يورد اليها ويكون مصدر ربح لمورده ، ومصدر ربح وفائدة لمشتريه . . وفي اثناء هذا التبادل التجاري العالمي في هذا المعرض التجاري العام يكون التفاهـم والتحادث ونقل العادات وتواؤم المجتمع العربي ، برغم ما كان يتخلل بعض الاحيان سوق عكاظ من فتن داخلية تثيرها النعرات والثارات وبعض الاغراض الخاصة او العامة ولا بد ان يفد الى عكاظ من أنباط الشام ورجالات فارس وتجار الروم والحبشة . . فينقلون شيئا من لغة القوم وينقل القوم عنهم شيئا من لغاتهم . . ويضيف صاحـب أسواق العرب الى ما ذكر أيضا . . انه (كان في عكاظ أشياء ليست في أسواق

العرب . كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد ، والحلة الحسنة والمركب الفاره ، فيقف بها وينادي عليه ليأخذه أعز العرب) يريد بذلك معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفادة عليه ويحسن صلته وجائزته .

وكذلك كان كسرى يفعل . لنفس الغرض .

ونعلق على هذا بأن الملوك الذين يفعلون هذا ، ويرسلون بالسيف القاطع او الفرس الرائع والحلة الفاخرة لتعرض في سوق عكاظ ليأخذها سيد العرب في معرض العرب العام بدون مقابل مادي . . ليس يفعلون ذلك بدون هدف سياسي . . انهم يتوخون من وراء ذلك ــ كما يحدثنا المؤلف ــ معرفة سادات العرب ليعتمدوا عليهم في أمور العرب فيكونوا عونا لهم على أعزاز ملكهم وحمايتهم من العرب . .

فعكاظ من هذه الناحية تقوم مقام عاصمة العرب السياسية التي فيها ما خفي من أمورهم . .

وفي عكاظ تقضي أهم الشؤون السياسية للعرب . . فمن كانت له اتاوة على قبيلة نزل بعكاظ في ذروة بها ومن أراد تخليد نصر لحيه فعل فعل عمرو ابن كلثوم ، فرحل الى عكاظ وخلد فيها شعرا ومن أراد اجارة أحد هتف بذلك في عكاظ حتى يسمع عامة الشعب . واعلان الحرب يكون في عكاظ ومن أراد سلما أعلنها في عكاظ . . وكانت تقوم مقام الجريدة الرسمية في هذا العصر ، ففيها يشهر أمر الشخص الذي أتى منكرا او تنصب له راية فيعرف ويلعن ويجتنب هذا ما يحدثنا به سعيد الأفغاني نقلا عن مصادره الموثوقة .

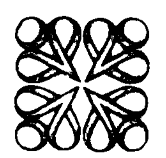
وهو أمر يدلنا على مدى نفوذ سوق عكاظ السياسي والاجتماعي في قبائل العرب وحواضرهم .

ومن جهة اخرى يدلنا على مدى الوعي العربي الاجتماعي وانهم في أواخر عصر الجاهلية بدأوا يشعرون تلقائيا بضرورة التقارب والتجانس والانسجام على ما يلف مجتمعهم من ضراوة العداوة القبلية والشخصية وشن الغارات والفتك بالاقربين والابعدين لأهون الاسباب .

والوعي والشعور والادراك بضرورة التقارب أول مراحل التحضر والتدول (أي تكوين الدولة) . .

وما أشبه عكاظ في جمعها لشتى قبائل العرب وتذاكرهم في شؤونهم في سوق

عكاظ بالمجتمعات التي كانت تعقد في أثينا أيام فلاسفتها ويخطب فيها الخطباء ويحاضر فيها المحاضرون ويتداول الشعب البحث في شؤونه واصلاحها وتنظيمها وتلافي الاضرار الحربية والداخلية منها . . كل يدلي بدلوه وبحجته في تلك الندوات العامة ، والشعب يستمع ويأخذ بالأنفع او ما يعتقد انه الأنفع .



موقع عكاظ

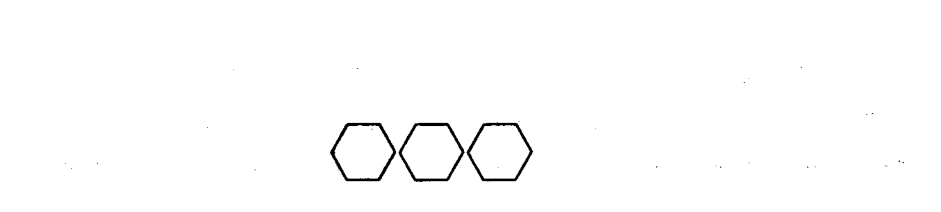
وموقع عكاظ محل اختلاف كبير بين المؤرخين والرحالين والباحثين فمنهم من يقول انها في طريق مكة ـ الطائف ـ أي في طريق السيل في باحة تسمى القانس ومنهم من يجعلها في وادي ليه من الطائف . . ومنهم من يجعلها جنب الطائف ومنهم من يجعلها شرقي الطائف .

ومنهم من يجعلها ممتدة من جنوبي عشيرة الى السيل الصغير (الحوية) وأنا أميل الى ما حققه المرحوم الشيخ محمد بن بليهد من انها البراح الفسيح الذي يبعد عن مطار الحوية مسافة عشرة كيلومترات تقريبا من الجهة الشرقية منه ، وعن الطائف مقدار أربعين كيلومترا ، وذلك عند المكان الذي يلتقي فيه الواديان . . وادي شرب ووادي الأخيضر ، شرقيه ماء يقال له المبعوث عند الحرة السوادء وجنوبيه أكمة بيضاء يقال لها : العبلاء من العهد الجاهلي الى هذا العهد وشماليه هو الفاصل بين وادي شرب ووادي قران المعروفين بهذين الاسمين الى هذا العهد ص ٢١١ ج ٢ من كتابه صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الآثار . . مطبعة السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٧١هـ.

على ان الذي أراه ونشرته مرارا هو أنه للتأكد من صحة موقع عكاظ هذا واقعيا علميا ينبغي ان يشرع ـ والشروع هنا بطبيعة الحال عائد لدائرة الآثار العامة التي وضعت تحت اشراف وزارة المعارف في اجراء أحافير واسعة النطاق في الارض المذكورة . . فاذا وجدت آثار بعض ما كان يعرض في عكاظ من التجارة والعروض العربية والفارسية وغيرها . . أمكننا ان نجزم عندها بموقع عكاظ الحقيقي الذي لا ريب فيه . . ولا بد ان نجد بها آبارا مطمورة ومقابر وأدما (جلودا) عربية وسلاحا عربيا ونقودا عربية او رومية او فارسية فان سوق عكاظ بقيت حتى أواخر المائة الاولى من عصر الاسلام . .

وعندما نجد هذه الاشياء ، يجب ضمها فورا الى متحف الآثار بجدة بصفة

موثوقة ويكتب التعريف عنها ، ومن ثم يشرع في انشاء مدينة سوق عكاظ الحديثة ، وينقل ما وجد من آثارها الى متحفها ، ويقرر ما يحسن من جعلها مدينة حديثة عامرة بالسكان ترتكز على المجد العظامي القديم وتضيف اليه مجدا حديثا في عهد الملك الرائد فيصل بن عبد العزيز حفظه الله وأيـــــده .



عودة الى سوق عكاظ

كنت أحد الكتاب الذين أجابوا دعوة الاستاذ عثمان شوقي المحرر (بالبلاد) الى الادلاء بآرائهم في احياء سوق عكاظ . وقد نشرت البلاد هذه الآراء في عدديـــن منها ، آخرهما كان يوم ١٣٨٥/٣/٤هـ.

ان فكرة احياء سوق عكاظ وجيهة . . ويجب المبادرة الى تحقيقها عن طريق الأدباء أنفسهم بمساعدة وزارة المعارف ووزارة الاعلام ، لان احياء هذه الســـوق الأدبية سيؤدي خدمات اعلامية وثقافية للوزارتين معا ، ولكافة الأدباء والمتأدبين مـــن الشبـــــاب والطــــلاب .

وأضفت : (وأرى ان تقام هذه السوق في مكانها التاريخي المعروف الـــذي اتفق على تحديده وقربه من مدينة الطائف كل من القاموس المحيط وكتاب (صحيـــح الاخبار) للشيخ محمد بن بليهد . . فهو يقع بين الطائف ونخلة قريبا من الحوية ، وان لم يكن من اليسير اقامة السوق بموضعه التاريخي فليكن بالطائف فهي مصيف جميل ومناخها يساعد على احياء هذه السوق الأدبية بها . على ان يكون ذلك مرة واحدة في العام ، ويدعى اليها ادباء من كافة الأقطار العربية . والوقت المناسب لأقامـــة سوق عكاظ هو الصيف حيث تفرغ وزارة المعارف من الامتحانات وتكون الوزارات الاخرى قد استقرت بالطائف للاصطياف مما يعطي قيام السوق عندئذ اهتمامـــا خاصا وحيوية وانتعاشا .

وتركت التفصيلات اللازمة لاحياء السوق الى اللجنة التي سيؤلفها الأدبـــاء لدراسة الفكرة ووضع الاسس التي يقوم عليها تحقيقها . ووعدت الاستاذ عثمان شوقي بالعودة الى موضوع (عكاظ) مرة اخرى اذا شاء الله . .

عكاظ والمستحدثات العصرية :

لقد كانت عكاظ تقوم مقام عدد من المستحدثات العصرية . . كالصحافـــة

---

* للاستاذ أحمد محمد جمال ـ جريدة البلاد عدد ١٩٦١ في ٨٥/٣/٦هـ

والأندية الأدبية ومحاكم التوفيق والمصالحة ، والمؤتمرات التي تنظر في حل بعض القضايا والمشاكل .

كانت عكاظ سوقا لعرض أشعار العرب وأخبارهم . وكانت عكاظ سوقا لخطبهم التي يتناصحون بها او يتفاخرون ويتنافرون .

وكانت عكاظ معرضا تجاريا لزمانها . . تجري فيه العروض والتبادل ، والاهداء والاستهداء وعكاظ هي أعظم ثلاث أسواق عربية كان العرب يتوافدون اليها من أطراف الجزيرة . وهي — أي تلك الاسواق الثلاث — (المجنة) بمر الظهران ، و (ذو المجاز) خلف عرفه و (عكاظ) السوق العربية الكبرى التي اهتم كثير من باحثي عصرنا بالتحري عن موقعها ، واختلفوا في تحديده .

وللعلامة المحقق الاستاذ حمد الجاسر بحث دقيق عن هذه السوق وخريطة رائعة حدد فيها موضعها ومواضع السوقين الآخرين .

عكاظ . . لغة وتاريخا :

. . وسأثبت هنا — بايجاز — ما قيل عن عكاظ قديما وحديثا من الناحية التاريخية واللغوية .

يقول القاموس المحيط : ان عكاظ سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم خلال ذي القعدة ، وتستمر عشرين يوما ويجتمع بها قبائل العرب ، فيتعاكظون أي يتفاخرون ويتناشدون . .

ويقول معجم البلدان : تعكظ القوم تعكظا اذا تحبسوا ينظرون في أمورهم . وبه سميت (عكاظ) . وكانت قبائل العرب تجتمع بها كل سنة يتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم .

ويروى عن الأصمعي : ان عكاظا بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال . وبه كانت تقام سوق العرب بموضع يقال له (الاثيداء) .

ويروى عن الواقدي قوله : وهذه أي عكاظ والمجنة وذو المجاز — أسواق قريش والعرب ولم يكن فيها أعظم من (عكاظ) .

أما المحدثون الذين تناولوا سوق عكاظ بالدراسة والبحث والتحرير فهم : شكيب ارسلان ومحمد حسين هيكل ، والدكتور عبد الوهاب عزام ورشدي ملحس ،

ومحمد بن بليهد . وقد أفضى هؤلاء جميعا الى ما قدموا ـ رحمهم الله ـ والاستاذ حمد الجاسر أمد الله في عمره .

وسأكتفي بما جاء في صحيح الاخبار للشيخ محمد بن بليهد : فقد جاء فيه : انه وقف بنفسه على موقع عكاظ وتحراه بدقة ، واستمر بحثه عن موضعه من سنة ١٣٥٥هـ. الى سنة ١٣٦٩هـ. واشترك معه في الوقوف على موقعه المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام عندما كان سفيرا لمصر في جدة واصطحبا معهما كل لوازم الاكتشاف من الدلائل والوثائق ووقفا على كل جديد ومكان ومعلم ورأيا الآثار القديمة والارض الرحبة التي تسع جميع العرب .

ويحدد ابن بليهد سوق عكاظ بأن موضعها يبعد عن مطار الحوية مسافة عشرة كيلومترات تقريبا من الجهة الشرقية منه وعن الطائف مقدار أربعين كيلومترا . وذلك عند المكان الذي يلتقي فيه وادي شرب ووادي الأخيضر . وفي شرقيه ماء يقال له (المبعوث) عند الحرة السوداء . وفي جنوبيه أكمة بيضاء يقال لها (العبلاء) من العهد الجاهلي الى هذا العهد . وشماليه هو الفاصل بين وادي شرب ووادي قران. . المعروفين الى هذا العهد بهذين الاسمين .

وقد قرأت أخيرا للاستاذ حمد الجاسر مقالا يذكر فيه انه هو الذي دل الشيخ ابن بليهد والدكتور عزام على موقع سوق عكاظ وأظهرهما على الخريطة التي وضعها والتي أشرت اليها في صدر المقال .

ويقول ابن بليهد عن ماضي عكاظ : ان الناس كانوا ينتابونها من كل ناحية ، فلما كانت سنة ١٢٩هـ. وظهر الخوارج الحرورية نهبت هذه السوق فتقلص ظلها شهرا بعد شهر وعاما بعد عام حتى عمي عن الأبصار رسمها وكثر الاختلاف على تحديدها .

عكاظ . . على ألسنة الشعراء :

ما زالت عكاظ تلك السوق العربية الكبرى خالدة على السنة الشعراء عبر السنين الطوال ، الى عصرنا الحاضر . . فشوقي سمى الحفل الذي أقيم لمبايعته بامارة الشعر (عكاظا) في مطلع قصيدته المشهورة :

يا عكاظا تألف الشرق فيه ... من فلسطينه الى بغدانه

افتقدنا الحجاز فيه فلم ... نعثر على قسه ولا سحبانه

وحافظ ابراهيم شاعر النيل وزميل شوقي شبه دار الكتب المصرية التي كان

يعمل بها ثم احيل على المعاش واقيم له احتفال بهذه المناسبة ، شبهها (بعكاظ) فقال يـــودع زملاءه فـــي دار الكتـــب :

وخطبت أبكـــار المعانـــي منكمو وزفقتهـــا بنفائس الألفـــــاظ

فكـأن نجـــدا والحجـــاز عشيرتي وكـــان هـــذه الدار سوق عكـــاظ

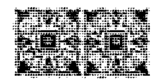
والاستاذ محمد مصطفى حمام الشاعر المصري المعروف والذي كان نزيل هذه المملكة لعدة سنوات ، قبل هجرته الى الكويت ووفاته بها ـ رحمه الله ـ يقول مـــن قصيدة عن جامعة أدبـــاء العروبـــة بمصر :

أعدنـــا وايـــاهم عكـــاظا وسوقها ومنـــا ملـــوك للبيان ومنهمـــو

وقـــد الفت بين القلـــوب عروبة يرف علينـــا ظلهـــا وعليهمـــو

هذا حديث موجز عن عكاظ لغويا وتاريخيا قديما وحديثا وهو على ايجازه يعطي قارىء (البلاد) فكرة واضحة عن تلك السوق العربية الكبرى ، التي قلت في صدر الكلام انها كانت تقوم مقام عدد من المستحدثات العصرية كالصحافة والانديـــة الادبية والمواسم الثقافية ، ومحاكم الصلح والمؤتمرات الاجتماعية والسياسيـــة والمعارض الاقتصاديـــة والتجاريـــة .

ومما ينبغي الا ينسى ان الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار قد ساهم في احيـــاء ذكرى (عكاظ) باصداره صحيفة اسبوعية تحمل هذا الاسم الخالد منذ الحجة عـــام ١٣٧٩هـ . . . وهي التي تصدر الان يومية عن مؤسسة عكاظ في جـــدة .



المصـــادر

١) صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار للمرحوم محمد بن بليهد .

٢) قصص عكاظ للاستاذ عبد العزيز مزروع الأزهري .

٣) ملحق مجلة « العرب » التي يصدرها الاستاذ حمد الجاسر .

٤) المجاز بين اليمامة والحجاز للاستاذ عبد الله بن خميس .

٥) معجم البلدان ـــ ياقوت الحموي .

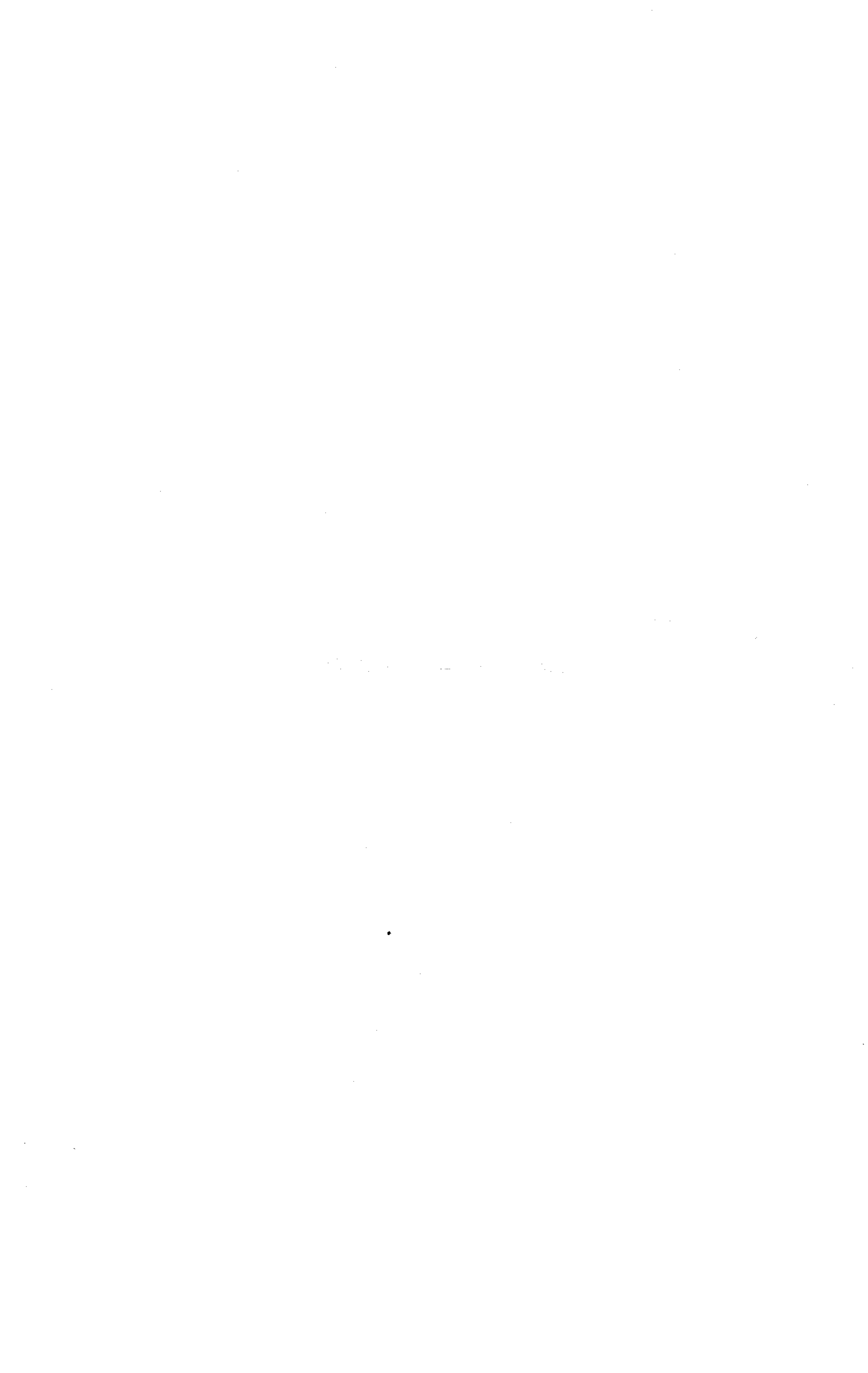
٦) معجم ما استعجم ـــ أبو عبيد البكري .

٧) جريدة عكاظ اليومية وتصدر في جدة .

٨) جريدة البلاد اليومية وتصدر في جدة .

فهـــرس

صفحـــة



مطابع الزايدي بالطائف